سجن النساء !

اعترافات خطيرة وجرائم مثيرة

ترويها من وراء القضبان

آمال بهنسى الشاذلى

دار الطلائع
للنشر والتوزيع والتصدير

دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير

٥٩ شارع عبد الحكيم الرفاعي ناصية امتداد مكرم عبيد وسمير فرحات
مدينة نصر - القاهرة - ت : ٢٧٤٤٦٤٢ - ٦٣٨٩٣٧٢ (٢٠٢) فاكس : ٦٣٨٠٤٨٣ (٢٠٢)

Dar El-Talae For Publishing , Distributing and Exporting

59 Abdel Hakim El Refae St. Nasr City - Cairo
Tel : (202) 2744642 - 6389372 Fax : (202)6380483

•• جميع الحقوق محفوظة للناشر

يحظر طبع أو نقل أو ترجمة أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب دون إذن كتابي سابق من الناشر ، وأية استفسارات تطلب على عنوان الناشر .

No Part Of This Book May Be Reproduced By any Process Without Written Permission. Inquiries Should Be Addressed To The Publisher .

رقم الإيداع : ١٤٥٦٥ / ٢٠٠٢

الترقيم الدولي : 977-277-283-3

تصميم الغلاف : إبراهيم محمد إبراهيم

★ تطلب جميع مطبوعاتنا بالمملكة العربية السعودية
من وكيلنا الوحيد : مكتبة الدار البيضاء للطبع والنشر والتوزيع
الرياض تليفون : ٤٣٥٣٧٦٨ - ٤٣٥١٩٦٦
٤٣٥٩٠٦٦ - ٤٣٤٠٣٥٠ فاكس : ٤٣٥٥٧٠١

طبع بمطابع ابن سينا القاهرة ت : ٣٢٠٩٧٢٨

Web site : www.altalae.com E-mail : info@altalae.com

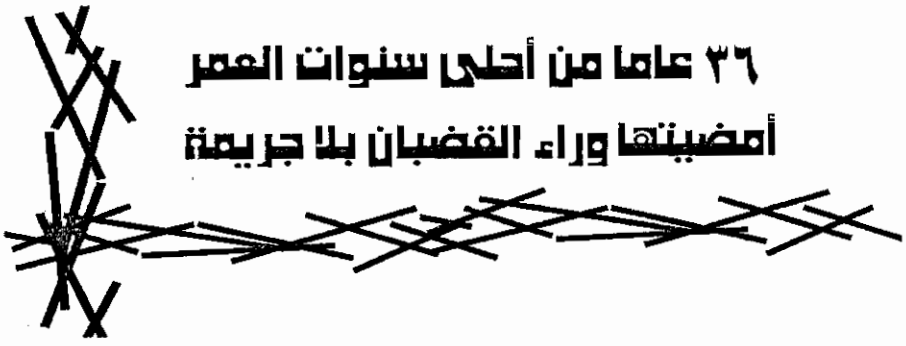

وبمـــا أنها بدون ذنب ولا جريمة كان مسموحاً لي أن أخرج وأعود يومـــياً، أذهـــب كـــل صباح أدق باب السجن بمحض إرادتي راضية مرضية ، أعيش خلف الأسوار بين مشكلات مجموعة كبيرة من البشر، متبايـــنة في السن ، والثقافة ، والتعليم ، والمهنة ، والذكاء ، والقدرات. وحـــتى الآن وبعـــد بلوغي السن القانونية لترك الخدمة ما زلت أعيش بمشاعري بينهن خاصة عندما تصلني رسائلهن.

لا أستطيع أن أنسى حياة ٣٦ عاماً هي أحلى سنوات عمري عشتها بيـــن مشكلات الأمهات والأطفال من عمر يوم واحد حتى بلوغ الطفل العامين ، وحتى يتم تسليمه لأقاربه من الدرجة الأولى بعد موافقة الأم، وإذا تعذر ذلك يتم تسليمه إلى جمعية أولادي بالمعادي ، أو قرية الأمل بمدينة نصر. ثم أظل أتتبعه وأحضره لزيارة والدته بالسجن باستمرار، وخاصة في الأعياد والمناسبات الخاصة. حتى يظل مرتبطاً بها إلى أن تنتهي فترة عقوبتها.

وأسلمها خطاباً موجها للمؤسسة لاستلام ابنها ، ومن هؤلاء الأطفال مـــن التحق بالمدرسة ، أو تعلم حرفة أو تزوج واستقر ، ومنهم من هو بالمؤسسة لحين الإفراج عن الأم.

كل صباح تضاف إلى المشكلات مشكلات جديدة ونزيلات جديدات يحضـــرن لتنفيذ العقوبة نسميهن بلغة السجن "الإيراد" . أضمد الجراح

وأمـــتص الغضب ، فهذه الفترة من أصعب الفترات على النزيلة وهي بدء حياة جديدة بعيدة عن الأهـــل والأبناء والدفء العائلي . ثم أبدأ في ممارســـة العمـــل اليومي باستلام الخطابات المرسلة من النزيلات إلى ذويهن أتسلمها مفتوحة لمراجعتها وغلقها وختمها بختم المكتبة ، فيها ما فـــيها مـــن الأسرار والأحزان والمشاعر والأشواق والحنين إلى الأهل والأبـــناء والديـــار ، وأقوم بتصديرها ثم أقوم بفتح الخطابات التي ترد إليهن من ذويهن ، أقوم بقراءتها ، فيها أيضاً ما فيها من دعوات بجمع الشـــمل وأخـــبار سارة وغير سارة تتطلب مني توصيلها إليهن بحكمة، خاصة في حالات الوفاة .

تتردد علىَّ النزيلات بالشكاوى الداخلية ، كالشكاوى التى تحدث بين أفـــراد الأسرة الواحدة خاصة وأنهن سيدات. أو شكاوى خارجية خاصة بالأبناء كالإعفاء من المصروفات الدراسية ، أو دفع إيجار المسكن ، أو محاولة تعدي أصحاب المنازل على الأبناء بعد حبس عائل الأسرة ، أو غـــياب أحـــد الأبناء عن المنزل ، أو مقاطعة الأهل والأبناء لهن وعدم الحضور لزيارتهن وطلب مساعدات مادية للأبناء والأسرة ، أو صرف معـــاش عن الزوج أو الأب الذي انقطع بعد دخولهن السجن. كما أقوم بعمـــل أبحاث اجتماعية مفصلة لكل نزيلة تم الحكم عليها ، ومن خلال هـــذه الأبحـــاث تتضح لي المشكلات ، وبتوفيق من الله -عز وجل- ثم مســـاعدة المسئولين داخل وخارج السجن أستطيع حلها ، ولا يفوتني أن أتقـــدم بالشكر لبعض السادة رؤساء النيابات الذين يطلبون عمل تقارير اجتماعـــية ويستدعونني لمناقشة هذه التقارير والعمل بما جاء بها وذلك قبل إصدار الحكم ، وقد تم الحكم ببراءة بعض المتهمات بعد حضوري الجلســـة ومناقشة التقرير الاجتماعي عن الحالة ، وهو إجراء حضاري

يدل على رجاحة العقل وصحوة الضمير القضائي ، ويشعرني بالسرور والاحترام تجاه هؤلاء الرؤساء .

أمـــا بالنســـبة للنزيلات المزمع الإفراج عنهن وبعد الاطلاع على الســـجل اليومـــي للإفراج أقوم بتسليم المفرج عنها خطاباً موجها لقسم الـــرعاية اللاحقة بمديرية الأمن التابع لها محل إقامتها لتقوم بمساعدتها ماديـــاً فـــي الحـــال بقـــدر من المال ، يساعدها على قضاء احتياجاتها الضـــرورية ، والوصـــول إلـــى محل إقامتها ، كما أسلمها خطاباً آخر موجهـــا إلى جمعية رعاية المسجونين التابعة لمحل إقامتها لتتولى تقديم العـــون المادي والاجتماعي لها ولأسرتها بعد الإفراج ، هذا إلى جانب تقديم النصح والإرشاد .

وهكـــذا يـــبدأ يوم عملى بالسجن في السابعة صباحاً ، ويمتد حتى الســـابعة مســـاءً صـــيفاً ويغلـــق في الخامسة في الشتاء ، وفي الثامنة والنصـــف صـــباحاً تبدأ النزيلات في استلام أعمالهن بالورش (ورشة الـــتريكو – الـــتطريز – التفصيل ، والحياكـــة ، والعمـــل [بالكانتين والكافتـــيريا] ومستشـــفى الســـجن ، والمطـــبخ والمغسلة ، والمكتبة، والمسجد، والعنابر ، والحوش) فالجهود ذاتية داخل السجن .

تصنف النزيلات بالسجن حسب التهمة ، والعنبر الوحيد الذي يضم تهمـــا مخـــتلفة هو عنبر الأطفال الرضع والحوامل ، وعنبر الإيراد ، وتمكـــث الـــنزيلة عشرة أيام في عنبر الإيراد ، أي النزيلات الجديدات اللائـــى يردن إلى السجن لتنفيذ العقوبة ، ثم تصنف حسب تهمتها ، كما يضـــم عنبر التحقيق تهما مختلفة أيضاً لحين الحكم عليهن ، وبعد الحكم تصـــنف الـــنزيلة حسب تهمتها . ويحظى عنبر أمهات الأطفال برعاية وعناية خاصة، وملحق به حديقة يلعب فيها الأطفال ويتمتعون بالشمس خاصـــة في فصل الشتاء ، وبه مجموعة من اللعب الثابتة والمتحركة ،

ويـــتم توفـــير سرير لكل طفل ، ويلقى الطفل رعاية خاصة في المأكل والملـــبس والدواء ، وبالعنبر ماء بارد وماء ساخن ، فلا ذنب للطفل ، لأن الطفـــل الصغير الذي لا يدري ما يدور حوله لا ذنب لـــه في تلك العقوبة ، وصدق من قال " هذا جناه أبى علىَّ وما جنيت على أحد " .

كما أن من أصعب المواقف على نفسي ونفس الأم حين يبلغ الطفل العاميـــن وأقوم بتسليمه إلى المؤسسة وتشعر الأم بمرارة الفراق إلى أن يحضـــر إلـــيها في أول زيارة ، ثم تتعود على ذلك وتتأكد أن المؤسسة تشـــمله بالرعاية . ويوجد بالسجن مسجد لإقامة الصلاة ويحضر واعظ فـــي كـــل أســـبوع لعمـــل نـــدوات دينية للنزيلات ، ويقوم بالرد على الاستفســـارات والأســـئلة الدينـــية ، كما يحضر أحد القساوسة مرة كل أسبوع لوعظ النزيلات المسيحيات ، ويوجد بالسجن مستشفى بها أطباء متخصصون ، وممارس عام ، وطبيبة أطفال ، وعدد من الممرضات ، أمـــا الحالات الخطيرة والتي تحتاج إلى أجهزة حديثة يتم عمل تصريح للخـــروج ومعالجتها خارج السجن بعد توفير الحراسة اللازمة لذلك . وتوجـــد بالسجن مكتبة تضم مجموعة كبيرة ومختلفة من الكتب الثقافية، والدينـــية ، والعلمـــية ، والأدب ، والفن ، والعلوم التطبيقية والبحتة ، والتاريخ، والجغرافيا ، والسياسة ، والطهي . كما يوجد كانتين وكافتيريا ومسرح تقام فيه الحفلات في المناسبات والأعياد الدينية وعيد الأم .

وتقوم جمعية رعاية أبناء المسجونات بتوفير الملابس والألبان لأبناء المســـجونات داخل السجن ، أما جمعية "أولادي بالمعادي" وقرية الأمل بمديـــنة نصـــر ، والعروة الوثقى بالإسكندرية ، وعلي بن أبي طالب ، فترعى أبناء المسجونات لحين الإفراج عن أمهاتهم. ويتم بالاشتراك مع الهيـــئة العامـــة لقصـــور الـــثقافة ، الاتفاق على عمل برنامج ترفيهي مشـــترك، ونـــدوات دينية واجتماعية وورش عمل . وقد حصلتُ على

درع تفــوق من الهيئة العامة لقصور الثقافة ، كما حصلت على مكافأة ماديـــة وشهادة تقدير لفوزي بالأم المثالية، وشهادة تقدير عن يوم المرأة المصـــرية ، ومكافـــآت تشجيعية للموظف الكفء ، وخطابات شكر من أســـاتذه علـــم الاجـــتماع بالجامعة الأمريكية ، وأساتذة المركز القومي للـــبحوث الاجتماعية والجنائية لمساعدتهم في تحضير الرسائل ، وعمل الإحصـــائيات والأبحـــاث ، وإلقـــاء المحاضـــرات على طلبة الجامعة الأمريكـــية قسم الاجتماع ، وكليتي الآداب والحقوق وهم جميعاً يقرون بذلك .

وفـــي الـــنهاية وبمناســـبة فصل الربيع وهو بدء حياة جديدة مليئة بالخضـــرة والـــورود أدعو الله أن يقبل توبة كل تائب ليبدأ حياة جديدة ويعـــود إلى بيته يزينه بالخضرة والزهور ، ويتحلى بالصبر والإيمان ، ويســـعى للكســـب والـــرزق الحلال ، فالحلال لـــه طعم حلو المذاق ، فالشعور بالأمن والأمان إحساس لا يعادله أي إحساس ولا يشترى بمال الدنـــيا وكنوزها . وما فائدة أن يجمع الإنسان المال ويشتري العقارات ويفقـــد الإحســـاس بالراحة والشعور بالرضا والطمأنينة ويحرم من بيته وأولاده ويشـــتهي الحـــياة الهادئـــة السعيدة بين جدران منزله وأفـــراد أسرتـــه ؟!!

دعواتي أن يغفر الله الذنوب .

آمال بهنسي الشاذلي

ستة وثلاثون عاماً قضيتها وراء الأسوار هي أحلى سنوات العمر ، ٣٦ عاماً بين مشكلات مجموعة متباينة من البشر.

وأصدقكم القول أن ما تتضمنه سطور هذه الحكايات ليست كتابات قصصية ، ولا هي من وحي الخيال ، بل هي حقائق عاصرتها وعشت فيها بين مشكلات مجموعة من البشر ، لعبت ظروفهن الاجتماعية والاقتصادية والنفسية وأقدارهن - كموت الأب أو الأب والأم- دوراً فعالاً في وجودهن في هذا المكان ، وساعد المناخ الذى عشن فيه على فتح الباب على مصراعيه ليدخلهن للعيش في هذا المكان يقضين أحلى سنوات العمر بعيداً عن الأبناء والأحباب ، وفي حرمان من الدفء العائلي والتمتع بالراحة والاستقرار . يكبر الأبناء ويتزوجون أو ينحرفون ، يمرض الآباء والأمهات ويتوفاهم الله ، تزف البنت إلى زوجها وهن مسلوبات الحرية تتمنى كل واحدة منهن أن لو كانت خارج الأسوار لترى ابنتها وهي تزف ، أو تجلس الابنة بجوار أمها وهي تحتضر، تطلب منها السماح وتسمع منها الدعوات وتطمئن أنها سوف تقابل رباً كريماً وهي راضية عنها ، لحظات لا تشترى بكنوز الدنيا وملذاتها ، لا يشعر بقيمتها إلا من حُرم منها وسُلبت حريته.

كان عملي في هذا المكان شعاعاً من نور أضيء به حياة هذه المجموعة من البشر، وأنير الطريق لأبنائهن خارج هذا المكان ، وزادني عملي في هذا المكان إيماناً ويقيناً بأن لهذا الكون إلها قادراً مدبراً ، وأن الأحداث التي تدور فيه يعلمها سبحانه علام الغيوب ،

وهوالـذي رسـم لنا طريق النور وأمرنا باتباعه كي لا نضل أبداً، فهو الحـق وهـو العدل . وقد غرس فينا سبحانه وتعالى قيم الخير والحق والجمـال، وفـي نفـس كل منا بذرة من الخير والشر ، وأمرنا باتباع الصـراط المسـتقيم حتى لا تنمو في نفوسنا بذرة الشر ، ونتبع تعاليم الديـن التـي تنمـي فينا الخير ، ونقضي على شرور أنفسنا وسيئات أعمالـنا. لذا يجب على الآباء والأمهات أن يحافظوا على الأمانة التي أعطاها لهم الله – سبحانه وتعالى- فالأبناء هم زينة الحياة الدنيا ، وهم ثمـرة ما زرعوه ، وعليهم أن يسقوا ويرووا هذه الثمرة من نهر عذب وكسـب حلال، وأن يحافظوا على أبصارهم من النظرة الحرام ، وعلى أسـماعهم من سماع ما يخدش الحياء ، وأن يعلموهم منذ الصغر تعاليم ديـنهم ، فكـل الأديـان السـماوية تحث على القيم والأخلاق الكريمة والمبادئ الفاضلة ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، وتأمر بالصوم والصـلاة ،عند ذلك يحترم الصغير منهم الكبير ، ويعطف الغني على الفقير ويتصدق عليه ، ويساعد الصحيح المريض والمسن . يتحاورون معهـم ويتشـاورون ويقـنعونهم بالعقل والمنطق والتوجيه السليم دون الإفـراط فـي الزجر والعقاب والقسوة والشدة . بل بالحكمة والموعظة الحسـنة ، والعطـف البعيد عن التدليل المفرط حتى نصل بهم إلى بر الأمان ، ونجردهم من الأنانية والاستبداد بالرأي ، والخروج على طاعة الوالديـن ،عـند ذلك نجني ثمرة كفاحنا ، نزين بها حياتنا بدلاً من أن يصـبحوا مصـدراً لتعاستنا وشقائنا عندما نراهم – لا قدر الله- وقد سـلبت حريـتهم وراء القضبان . وإذا اتبعنا هذا الدستور النبوي كسبنا الدنيا والآخرة ، قال صلى الله عليه وسلم "**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي**"[1].

---

(1) أورده بنحوه المتقي الهندي في كنز العمال عن أبي هريرة (٨٧٦/١) (تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض) .

هـــى مـــن إحـــدى البلاد العربية في حوالي الخامسة والثلاثين من عمرها، جميلة متزوجة ، وأم لاثنين من الأبناء ، يمتلك زوجها مزرعة فـــي بلـــده ، اســـتأجر أحد العمال المصريين ليعمل بها . سافر الشاب المصـــري وكلـــه همة ونشاط ، واستلم العمل وكله أمل بمستقبل باهر مفروش بالورود ، خاصة عندما يعود إلى وطنه محملاً بالهدايا، مدخراً قـــدراً مـــن المـــال يعينه على بدء حياة زوجية يحلم فيها بالاستقرار ، وإنجـــاب الأطفـــال مع زوجة يحبها ، ويسعد بالقرب منها ومن والديه وأخوته .

لـــم يكن يدري ما يخبؤه لـــه القدر ، ولو علم الغيب لاختار الواقع ورضى بما قسمه له الله في وطنه ، وعاش سعيداً مستقراً بين أهله ولو على الكفاف ، فإن كنوز الدنيا لا تساوي حياته التى دفعها ثمنا لغربته ، بـــل لا تساوي لحظة واحدة مما كانت تمر عليه وهو في زنزانته فزعاً يمضي الليل ساهراً لا يغمض له جفن قد فارق النوم عينيه . اتضح ذلك من الخطابات التي كان يرسلها لها ، يكتبها بين جدران الزنزانة بعد أن

اســتيقظ مــن غفوتــه وفاق من سكره وأصبح لا يرى بعينيه إلا حبل المشــنقة يلــتف حول عنقه ، فطار النوم من عينيه وفقد شهيته للطعام وأصــبح ضعيفاً هزيلاً. بالله كم تساوي هذه اللحظات؟ . . وكيف كانت تمر عليه وهو يرتجف من الخوف والفزع وترتعد أوصاله؟ .. يحدث لــه ذلــك في اليوم أكثر من مرة ، يمر عليه الليل ساهراً يشتهي النوم والــراحة ، خاصة كلما سمع دبيباً أو صوتًا خيل إليه أنه يقترب منه أو تتجه إليه.

إن الوقت قد حان وسوف يجر إلى حبل المشنقة لتنفيذ الحكم عليه فمن قتل يُقتل ولو بعد حين . كانت خطاباته تأنيبا وتوبيخا لها ولكن بعد فــوات الأوان . كان يذكرها بمطاردتها لــه ومراودتها له عن نفسه ، خاصــة أثناء غياب زوجها ، يذكرها بدعوتها لــه لتناول الغداء معها وزوجها بحجة أنه غريب ، ولم يساور الشك قلب الزوج الذي نسى أنه لــيس محرماً لها ، وأنه لا مكان لــه بينهما تفادياً لعواقب الأمور ، ولم يــتوقع الــزوج إطلاقــا غدراً أو خيانة من زوجته ، فهو يوفر لها كل متطلــبات الحــياة. وإن ساوره الشك أحياناً كانت تقنعه أنه من منطلق الشــفقة على الغريب ، وظلت تراود فتاها عن نفسه. اعترفت لفتاها أنه شــغفها حــباً ، واحــتار الفتى في بادئ الأمر ، ولكــن كان الشيطان ثالثهما! . .

وجــاء الصــيف وفكــر الفتى في العودة إلى وطنه ليروي عطشه وشــوقه لــرؤية والديه وإخوته . لم يهدأ لها بال ، وصممت ألا تتركه لحال سبيله ، اتفقت معه أن يدعوها وزوجها لزيارة أسرته في مصر ، بالتحديد في أحد مراكز محافظة الشرقية. وافق الزوج المسكين، وأعدت الــزوجة العدة للسفر ، وجهزت الحقائب ، وتركت الأبناء لدى جدتهم ، وســافرت وزوجهــا ، استقبلتهم أسرة الفتى بالترحاب وكرم الضيافة ،

ووفرت لها سكناً مستقلاً لتستمتع هي وزوجها بالإجـــازة ، ولترد لهما جميل اهتمامهما بابنهم في الغربة ، وكانت الأسرة غافلة عما يدور بين الابن والزوجة !!

أخـــذت الأيام تمر وأوشكت الإجازة أن تنتهي واقترب موعد السفر هـــي وزوجها .. شعرت بمرارة الفراق ، كان شغلها الشاغل ألا تترك فتاها مخافة أن يرتبط بأسرته ويحن للبقاء في وطنه.

رســـمت لـــه خطة شيطانية ، واتفقت معه أن يخرج معها وزوجها للتـــنزه في الهواء الطلق بين المزارع لحظة الغروب ، وأثناء سيرهما باغـــت الفتى الزوج بضربة على رأسه بآلة حادة أسقطته على الأرض مغشـــياً علـــيه ، وأجهز عليه حتى فارق الحياة، سحب الجثة وقذف بها علـــى قضـــبان الســـكة الحديدية ، فقد أوشك القطار أن يمر، وستقيد الجـــريمة علـــى أنهـــا حادث قطار ، وتخرج من جريمتها كما تخرج الشعرة من العجين وتعود ومعها فتى أحلامها !!

والآن وقد حصحص الحق وأظهرت التحريات الحقيقة ، وأن الوفاة بفعـــل فاعل وهي نتيجة ضربه بآلة حادة أدت إلى الموت . وجاء وقت الجـــزاء وحكـــم عليه بالإعدام، وحكم عليها بالأشغال الشاقة المؤبدة ، مرت الأيام ونفذ فيه حكم الإعدام ودفع حياته ثمنا لطيش امرأة لعوب ، وترك الحزن والحسرة في قلب والديه وإخوته . ضعف إيمانه وضعفت مقاومـــته بإغـــرائهـــا ، وكادت لـــه كيـــداً عظيماً وراودته عن نفسه واستجاب لها وكان من الجاهلين.

والآن أقول لها عودي إلى الله –عـــز وجل– واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين.

هي من أحد أحياء القاهرة الشعبية ، في حوالي الثالثة والثلاثين من عمـرها ، متوسـطة الجمال ، لم تتلق أي تعليم ، هادئة الطباع ، حلوة الحديث دمثة الخلق ، إنسانة مستسلمة ، ليس لها أي تجارب في الحياة.. كانت تعتبر بيت أسرتها هو كل دنياها التي حرمت منها وهي في ريعان شـبابها، من أسرة متوسطة الحال ، تسود المودة والمحبة بين أفرادها ، وتـربطها بأقاربهـا صـلات رحم ، وتسعى الأم دائماً على أن تقوى الـروابط الأسرية بينها وبين أقاربها ، وتواظب دائماً على زيارة الأهل والأقارب ، وتحرص على أن تسود علاقات المودة بينهم .

كانـت الثانية في الترتيب بين أفراد أسرتها البالغ عددهم ٥ أفراد ، والدها رجل طيب ودود ، يحب أولاده ويظهر لهم عاطفة الحب والحنان علـى عكـس والدتهـا التي كانت ترى حرجاً في إظهار عاطفة الحب لأبنائها . يعمل والدها بإحدى الشركات ووالدتها ربة أسرة.

نشـأت وترعرعت بين والديها وإخوتها حتى بلغت السابعة عشرة مـن عمـرها ، وكـأي فتاة في مثل سنها كانت تحلم بفارس الأحلام ، تتخـيل نفسـها وهي تزف إلى جواره ترتدي فستان زفافها الأبيض ،

وترتســم على وجهها ابتسامة مشرقة تستقبل بها حياة جديدة سعيدة في ظل رجل تحبه ، إلى أن جاء اليوم الأسود الذي حوّل حياتها من فراشة مــرحة إلى امرأة حزينة كئيبة فتبدلت ابتسامتها إلى دموع . اليومْ الذي حضــرت فيه خالتها تطلب يديها لابنها ، ولم تكن تلك الزيجة بمحض اختــيارها ، ولــم تكن راضية عنها ، ولكنها استسلمت لقدرها بعد أن صــممت أمهــا على إتمام هذه الزيجة حتى لا تخسر شقيقتها واستبدت برأيها . رفض والدها هذه الزيجة لأنه لا يحبذ زواج الأقارب وضربت أمي برأي أبي عرض الحائط ، ونظر والدي إلى وجهي بأسى وحسرة عــندما رأى الدمــوع في عينيّ وسمع صوت أمي وهي تقول بالحرف الواحــد لأخــتها – أي أم العــريس – : اطمئني فهي ابنتي وأنا حرة التصرف في أمرها ، وليس لدينا بنات تعصي الأوامر ، ستكون زوجة لابنك بل خادمة لك !!

ولــم يكن هناك بد إلا الاستسلام وتنفيذ رغبة الأم الطاغية وإطاعة أوامــرها حتى ولو على حساب عواطفها ومشاعرها !! وتقول صاحبتنا بنــبرة حزينة والدموع تملأ عينيها: تزوجت من ابن خالتي وأنجبت منه ولــداً وبنتًا ، لم أشعر يوماً واحداً بالراحة ، ولم أعرف الحب والتفاهم الــذي يســود بين الزوجين ، فقد كان من الصعب ، بل من المستحيل، الــتفاهم معــه ، فأنا أعيش في واد وهو في وادٍ آخر غير الذي أعيش فــيه.. ليس لي إلا أن أقوم بجميع أعمال المنزل في صمت !! . . ليس مــن حقي أن أشكو أو أعترض !! . آلة تنظف المنزل ، وتعد الطعام ، وتذهب إلى السوق . . يسود الصمت القاتل الحزين أرجاء المنزل ،حتى أصــبحت الحــياة مملــة ، واتســعت الفجوة بيني وبين زوجي وأمي وخالتي.. وشعرت بالكراهية لهم جميعاً .. فهم سبب ما أعانيه من ضيق

وحرمان . الشكوى لأمي لا جدوى منها والحديث معها نهايته معروفة . ما الذي ينقصني أنا (أعيش) مع خالتي آكل وأشرب (وظل راجل ولا ظل حيطة!).

مـرت الأيام عليَّ طويلة مملة ، حتى الحديث مع من أعيش معهم تحـت سـقف واحد للضرورة فقط ، فلا تفاهم ولا انسجام ، بل تفككت الروابط التي طالما حرصت أمي على تقويتها بين شقيقتها وأقاربها ...

لجـأت إلى والدي أشكو لـه ما أصبحت فيه ، وعرضت عليه أن أبحـث عـن عمل يشغلني ربما تتحسن صحتي بعد أن ذبل عودي من كثرة التفكير ، ولأزيح الكابوس الجاثم على صدري ، ووفقت إلى عمل فـي إحـدى الشركات ، والتحقت به كعاملة ، فأنا لم أتلق أي قسط من التعلـيم، وكـان جهلي عاملا أساسيا لسوء تصرفي الذي انتهي بي إلى السجن .

نظمت حياتي حتى لا تعترض خالتي على ذهابي للعمل وتقف حجر عـثرة أمامـي ، بذلـت أقصى جهدي كي أنجز كل متطلبات المنزل. أصطحب ابني كل صباح لتوصيله إلى الحضانة ثم أذهب لإحضاره في موعـد الانصـراف . وكثـيراً ما كان يبدو عليَّ التعب والإرهاق، فقد تضاعف مجهودي ، فقـد كنت أبذل قصارى جهدي للتوفيق بين عملي وواجباتى المنزلية ..

وكانـت تعمـل بالحضانة التي يذهب إليها طفلي سيدة في حوالي الخمسـين مـن عمرها (دادة) تراني يومياً وأنا مسرعة الخطى منهكة القوى ، وأحسست من نظراتها إليّ أنها تشفق عليَّ وتحس بما أعانيه ، وترغـب فـي الحديـث معي .. وذات يوم نظرت إليَّ واقتربت مني وابتسـمت ، ودار بيننا حديث أحسست بعده بالراحة والاطمئنان إليها .

وبحـــت لهـــا بمـــا فـــي صدري من آلام وأحزان وما أعانيه من توتر أعصـــاب وتعب نفسي بسبب زواجي من ابن خالتي الذي كان سبباً في كرهـــي لأمي وخالتي .. تعاطفت معي ، وعاشت في مشكلتي ، ربتت على كتفي وقالت لي: أنا عندي الحل! .. الحل الذي سوف يخلصك من همومـــك وأحزانك ويزيح الكابوس من على صدرك ، وشعرت بالنشوة والســـرور ، وكـــأن أبـــواب السماء فتحت لي وأنها سوف تنقذني من مصيبتي . ولم أجد حرجاً من أن أبوح لها بأسراري التي لم أجرؤ على إفشـــائها لوالدتـــي التي وضعت حاجزاً لا ينكسر بيني وبينها ، ومنعني حيائـــي أن أبـــوح لوالـــدي بأنه قد ضاقت بي الدنيا ، وأنني أفكر في الهروب من المنزل ولكن إلى أين ؟ وحتما سأتهم بالرذيلة ..

اقترحت عليَّ هذه السيدة أن أسافر معها إلي بلدتها في الوجه القبلي فهي تعرف أحد العرافين(سره باتع وحجابه ما يخرش الميه) .. وحكت لي بعض الحكايات عن هذا العراف الذي (ينقل الحيطة على الحيطة) . وصـــدقت مـــا سمعته منها من خزعبلات ، بل أقنعتني أنه سوف يغير مجرى حياتي ويهدي لي زوجي . ويشفيه من مرضه ويصلح شأنه.

لقد غيرت فعلاً مجرى حياتي ولكن هل يصلح العـــراف ما أفســـد الدهر ؟ .. فزوجي كان مريضاً بمرض نفسي وعصبي ويتعاطى حبوباً مخـــدرة ولديه شهادات صحية تثبت ذلك ولكن وأنا الجاهلة وهي أجهل مني فعلاً.

انتقلـــت من بيتي إلى السجن ، حدث ذلك بعد أن سافرت معها إلى بلدتهـــا وجلســـنا نتـــناول الشـــاي بعد العشاء ، فدخل عليّ أحد أقاربها وصـــافحني ، وســـألها عنـــي ، وحكـــت لـــه حكايتي وما أعانيه من مشـــكلات مـــع زوجي وسبب حضوري معها إلى بلدتها ، وكان أجهل

منها ومني ووجد هو الآخر حلا لمشكلتي ، وأنه سوف يحضر لزيارتنا بالقاهـــرة وما عليّ إلا أن أصطحب زوجي إلى مكان بعيد عن العمران اتفقـــنا عليه معًا وسوف يقوم هو بوضع نهاية لهذه المأساة ، وفي اليوم الموعـــود حضـــر الرجل وفي الميعاد طلبت من زوجي أن أخرج معه لأنني أشعر أنني مخنوقة ، ومما يدعو للغرابة أنه لم يكن بيننا أي تفاهم ولـــم يســـبق لـــنا أن خرجنا نستنشق الهواء معًا ، ولم يتردد زوجي أو يمـــانع، ووضـــع حذاءه في قدميه وخرجنا ، وسار بجواري على غير العـــادة ، وســـاد بيننا الصمت وكأننا نمشي في جنازة .. ولاح لي على الـــبعد قدوم الشيطان نحونا ، وأشار لي بيده أن أرجع إلى المنزل وكان المكـــان خالـــياً وقد خيم الظلام على المنطقة .اقترب من زوجي وهوى علـــى رأســـه بماسورة حديدية، وكانت ضربة قوية أفقدته الوعي ووقع علـــى الأرض مغشـــياً عليه غارقاً في بركة من الدماء ، وهرولت إلى المـــنزل وأنـــا أرتجـــف وتـــرتعد أوصالي وشعرت بارتفاع في درجة حرارتـــي .. وانتابتنـــي الحمى وذهبت إلى الفراش وغاب زوجي عن المـــنزل وشـــعرت خالتي بالقلق عليه وحضرت إليّ تسألني أين ابني ؟ وتظاهـــرت بعـــدم المـــبالاة وقلت لها: إنه تركني دون أن ينطق بكلمة واحدة كعادته ، فليس بيننا كلام ..

وساور الشك قلب الأم بعد أن رأت الصفرة تعلو وجهي ، وأوصالي تـــرتعد ، ولســـاني يتلعثم في الحديث .. واستشعرت خالتي أن بالأمر شـــيئا.. ذهبـــت تبحـــث عـــنه فـــي كل مكان وتسأل في المستشفيات والمصحات دون جدوى ثم أبلغت الشرطة ، ولم أجد مفراً من الاعتراف بجريمتي ، وحكم عليّ بالإعدام ، ولكن رحمة الله واسعة فقد تم تخفيف الحكـــم علـــيّ بعد أن قدمت ما يثبت أن زوجي كان يعاني من مرض

نفسي وعصبي ، وأن لديّ شهادات من الأطباء تثبت أنه مريض ، وقد تـم حجزه بالمصحات والمستشفيات للعلاج وحكم عليّ وعلى الشيطان الذي تطوع لقتل زوجي بالأشغال الشاقة المؤبدة.

وبعد أن أنقذها الله من حبل المشنقة عادت إلى ربها واستغفرت من ذنـبها ، وتابت وهي الآن تصلي وترجو الله -سبحانه وتعالى- أن يقبل توبتها .

وكأي أم اشتاقت لرؤية ابنها ووالديها وإخوتها وخالتها ، واستطعت إقـناع خالتها أن تحضر لزيارتها ومعها ابنها لتراه ولو مرة واحدة كما تعاونـت مع السيدة فريدة الأتربي مديرة مؤسسة الأمل بمدينة نصر ، وفعـلاً حضـرت خالـتها ومعها الابن وطلبت منها أن تعتذر لها حتى تسـامحها وتقبل رأسها ويديها ، وانحنت على يديها تقبلها وطلبت منها السـماح ولكـنها ردت عليها قائلة : إن الله -سبحانه- هو الذي يسامح العـباد .. أمـا الأم فرفضت الحضور إليها ولم تحضر لزيارتها على عكس الأب الذي يحضر باستمرار لزيارتها والاطمئنان عليها.

أمـا عـن حـياتها داخـل السجن فقد تم تصنيفها في عنبر أمهات الأطفـال ، تقـوم علـى خدمة الأطفال والحوامل وتواظب على تأدية الصلاة والصوم .. كما التحقت بمدرسة محو الأمية لتبدأ حياة جديدة بعد أن خاضت هذه التجربة التي تعلمت منها الكثير.. أما ابنها فقد تم تقديم بعض المساعدات المادية له بالاشتراك مع مؤسسة الأمل وهو يعيش في كـنف جدته لوالده .. دعواتي لـه بالتوفيق ، وتقبل الله توبة كل تائب فهو أرحم الراحمين .

أمـا أنت أيتها الأم .. يا من تملكين زمام الأمور ، فليست المجاملة في الأمور التي تحدد المصير ، وتقوم عليها بناء مستقبل وحياة أسرة .

إن مجاملتك لشقيقتك واجبة ، ويجب أن تكون في حدود المعقول ، ولن تكون أبداً على حساب مستقبل ابنتك .. شعور طيب وجميل أن تحاولي إرضاء شقيقتك وتحافظي على صلتك القوية بها وتنمي الروابط الأسرية وصلات الرحم بينكما .. فقدكانت الحقيقة واضحة أمامك ولم يغرر بك خطيب ابنتك فهو أقرب الناس إليك ، تعلمين عنه كل شيء ، ولا يخفى عليك أنه يعالج نفسياً وعصبياً ويتعاطى الحبوب المخدرة والمهدئة ومعه من الشهادات ما يثبت ذلك .. أحبك لشقيقتك طغى على حبك لابنتك؟! لقد دمرت حياتها ومستقبلها وضربت برأي والدها ورأيها عرض الحائط.

وأنت أيها الأب الحاضر الغائب السلبي .. أين دورك ؟ لِمَ لَمْ تتدخل بقوة وتحسم الأمور؟ .. إنها أيضاً ابنتك ولك حق تقرير مصيرها وضمان مستقبلها .. لقد وقفت مكتوف اليدين وكأن الأمر لا يعنيك من قريب أو بعيد وكأنك تشاهد تمثيلية . وتضطر الابنة للرضوخ إلى أوامر والدتها وتستسلم لمصيرها المجهول ، وظلت تعاني وتتخبط في حياتها ، تمر عليها الأيام طويلة مملة ، ضاق صدرها ولم تجد من يسمعها ولا من يقف بجوارها ولا من يرشدها وينصحها بالسير في الطريق السليم ، لأنها كانت تعمل في الخفاء بعيداً عن أسرتها التي أصمت أذنيها حتى لا تسمع شكواها، فلجأت ، كما تقول ، إلى سيدة أجهل منها قادتها من سيئ إلى أسوأ ، حتى انتهت إلى السجن والإعدام ثم خفف الحكم إلى مؤبد ، وقتل الزوج وقطعت صلة الرحم التي سعت الأم جاهدة إلى أن تصلها ولكن بطريقة خاطئة.

هـــم مجموعة من البشر لهم حياتهم الخاصة وتقاليدهم المتوارثة وعـــاداتهم السائدة بينهم . يحافظون عليها ويتوارثونها من جيل لآخر ، وكأنهم مجتمع صغير تسود بين أفراده معتقدات وأعراف تضفى عليهم طابعـــا خاصـــا .. فهم مجتمع صغير مغلق يتزوج أفراده بعضهم من بعـــض ، يرفضون بشدة زواج بناتهم من الأغراب الذين يطلقون عليهم "الفلاحين" ، يتحدثون فيما بينهم بلغة اكتسبوها من أجدادهم يعلمها الآباء للأبـــناء ، هي حلقة الاتصال بينهم خاصة خارج الأسرة ، وهي أصلا لغـــة إيرانـــية متداولة بينهم على الرغم من أميتهم ، ويتبعون الفريسة ويقومون بسرقة ما معها من نقود ، ويستعملون اللغة السائدة بينهم أثناء قـــيامهم بشـــراء متطلـــباتهم من الحوانيت أو أثناء وجودهم في وسائل المواصلات مما يوهم السامع أنهم غرباء . يعتقدون ، باطلاً ، وخاصة كبار السن منهم أن الله – سبحانه وتعالي- أمر جدهم الأكبر بأن تكون مهنـــته الســـرقة وأنهـــا مهنة لكسب الرزق والإنفاق على الأولاد كأي مهنة..

وبمـــا أنهـــم يعيشـــون في مجتمع مغلق تسوده الأمية ما زالت هذه الأفكار والعقائد تسود بينهم ، يتمسكون بها ويرفضون تغييرها ، وعلى

عكـــس مـــا جرت عليه العادة يفرحون بإنجاب الإناث . . فالأنثى هي فاتحة الخير على الأسرة ، وهي مصدر سعادة أبويها ثم زوجها .. يدها تلـــف فـــي حرير ، مهرها غال جداً ، فهي بالنسبة للأسرة الفرخة التي تبيض ذهباً .. الرجل لا يعمل ، والقليل من الرجال يقوم ببيع الفاكهة لا كمصـــدر أساســـي للرزق ولكن لقتل وقت الفراغ .. أما الاعتماد الكلي فهـــو علـــى الإناث ، وعندما تكبر السيدة في السن وتصبح غير قادرة علـــى التجوال والحركة تمكث في المنزل بجوار الأطفال وتقوم بتقسيم الحصيلة اليومية وتوزيعها على أفراد الأسرة .

يمـــتازون بخفة الدم وخفة الأيدي وطراوة الحديث ، يستطيعون عن طـــريق حاســـة اللمس تمييز الأوراق المالية دون سواها إذا ما تسللت أيديهـــم في إحدى الحقائب لسرقتها ، ينتشرون في عدة مدن من مختلف المحافظـــات كـــبلدة طهـــواج بالمنصـــورة ، والفيوم ، والإسكندرية ، والقاهـــرة ، ونســـميهم "الهـــنجران" وهم يمتهنون السرقة ويجيدونها ، وليس لهم مهنة أو أي مورد رزق سواها ، ولهم حكايات طريفة وشائقة وأحـــداث غريبة مرت عليهم أثناء قيامهم بعمليات السرقة .. وقد روت لـــي إحداهن وهي سيدة في الثالثة والثلاثين من عمرها ، جميلة خفيفة الظـــل، حلـــوة الحديث ، زرقاء العينين ، وردية البشرة ،ترتدي أفخر الثياب عند قيامها بعملية سرقة مما يبعد عنها أي شبهة ويجعل من يشك فـــيها ويحـــاول اتهامها يراجع نفسه مرات ومرات ، فهي تبدو وكأنها برنسيســـة ، تـــروى هـــذه الســـيدة فتقول : إنها كانت تذهب إلى أفخر المحلات التجارية التي لا يدخلها إلا أولاد الذوات ، وأصحاب الأعمال والممـــثلون والفـــنانون .. تذهـــب إلى "الكوافير" ترتدي الحلي والثياب الفاخرة ثم تمارس نشاطها .. وذات مرة دخلت محل أحذية واقتربت من إحـــدى السيدات وقامت بفتح حقيبة يديها بخفة وأخذت ما بها من نقود ،

ورأتها سيدة أخرى كانت تقف بجوارها .. ربتت على ذراع السيدة بخفة ونظـــرت إليها وقالت لها: خلي بالك ، وأشارت برأسها نحوي .. تقول عن نفسها: وسرعان ما تداركت الأمر ونظرت إلى السيدة التي حذرتها ومصمصـــت شفتي وقلت لها: مسكينة يا حبيبتي أنت لازلت مريضة ، أنـــت متى خرجت من مستشفى الأمراض العقلية ؟ .. وصعقت السيدة ونظـــرت إلـــيَّ ولم تنطق بكلمة واحدة من هول المفاجأة .. ونظر من بالمحل إلى السيدة في دهشة وابتعدوا عنها ظناً منهم أنها قد خرجت تواً مـــن مستشـــفى المجانين ، وأسرعت إلى باب المحل وكانت تنتظرني ســـيارتي وبهـــا الســـائق ، وركبت السيارة وأسرعت إلى منزلي أشعر بنشـــوة الانتصـــار، فلـــم أكن قد رأيت هذه السيدة من قبل ، وبسرعة وببراعة استطعت أن أصرف نظر الزبائن عني ، وحولت أنظارهم إلى الســـيدة التى أوهمتها أنها تعاني من اضطراب وتوتر نفسي ، وأنها لم تزل مريضة ، ولذت بالفرار قبل أن يفتضح أمري ويحدث ما لا يحمد عقباه ..

ومـــن الأحـــداث والطـــرائف الفردية روت لي إحداهن أنها ذهبت لشـــراء بعـــض الحلـــي من أحد تجار الذهب ، وطلبت منه أن يعطيها مجموعـــة مـــن الخواتـــم الذهبية لتفاضل بينها وتشتري ما يروق لها ، وأعطاها الرجل قطعة من القطيفة الحمراء المقواة .. معلق بها مجموعة مـــن الخواتـــم ، أخذت تتفحصها بدقة ثم طلبت منه مجموعة أخرى ، وتظاهـــرت بأن هذه المجموعة لا تناسبها ، وكانت معها زوجة شقيقها التـــي تجاهلـــتها تماماً لتوهم البائع أنها بمفردها ولا يوجد سابق معرفة بيـــنهما ، وأثناء انشغال البائع بسيدة أخرى ترغب في شراء قرط ذهبي لابنتها خرجت زوجة شقيقها من المحل ومعها قطعة القطيفة المعلق بها قطع الذهب، ووضعتها في حقيبة يدها ، وبعد أن انتهي الصائغ من بيع

القرط للسيدة وطفلتها وتنبه إلى أن السيدة خرجت من المحل وأن قطعة القطـيفة المعلـق بها الذهب غير موجودة سأل السيدة فأظهرت لـه ما معهـا من ذهب وقالت له بمنتهى الثقة: أنا غير مسئولة عنها ، وأنا لم يسـبق لـي معرفة بها ولم أرها من قبل .. فزع الرجل وخرج مسرعاً للبحـث عنها وسأل أصحاب الحوانيت المجاورة لـه عن سيدة خرجت لتوها ، ومجاملة له أخذ كل واحد منهم يبحث في مكان ، ونادى أحدهم علـى الصائغ وقال لـه: أعتقد أنها هذه السيدة ، فنظر إليها وقال لـه: لا تظلمهـا إنهـا ترتدي تنوره سوداء وقميص أخضر ، أما التي كانت بـالمحل فكانت ترتدي عباءة سوداء وعلى رأسها وشاح أبيض ، وهذه شـعرها مكشوف . وكانت تمشي في هدوء وثقة وكلماتهم تخرق أذنيها بعـد أن دخلت أول منزل على الناصية، وبسرعة البرق خلعت العباءة السـوداء التـي كانت ترتدي تحتها الجونلة السوداء والقميص الأخضر وكشفت رأسها ونزعت من على رأسها الوشاح الأبيض فتغيرت معالمها ، ولم يستطيعوا التعرف عليها وهي تسير على بعد خطوات قليلة أمامهم واثقة الخطا تمشي الهوينى.

أمـا الدكـتور عطـية مهني فهو أستاذ في القانون الجنائي بالمعهد القومـي للـبحوث الاجتماعـية والجنائية . وكان كثيراً ما يحضر إلى السـجن لعمل دراسات اجتماعية عن بعض التهم ، وكنت أتعاون معه وأسهل لـه مهمته حتى يحصل على نتيجة موضوعية من مقابلاته مع النزيلات بحكم خبرتي وإلمامي بظروفهن الاجتماعية ، وهو أستاذ دقيق في عمله كباقي أساتذة المعهد ، وكان يفضل القيام بأبحاثه أثناء وجودي بـالعمل ، وقد حدث أن حضر للقيام ببعض الدراسات الاجتماعية عن "الهـنجران" ، وهـم كما سبق تعريفهم مجموعة من البشر لهم عادات وتقالـيد مـتوارثة، يعملون بالسرقة ويتوارثون هذه المهنة فيما بينهم ،

وهـــي المصدر الوحيد للحصول على الدخل ، وليس لهم مصدر رزق غيرها.. قام الدكتور عطية بعمل دراسة على مجموعة منهم يختار عددا (عينة) يطبق عليها الدراسة ، وقد تصادف قيامي بإجازتي الصيفية قبل أن ينتهـــي من دراسته ، فقد بقى على الانتهاء من العينة حالتان ، وبعد أن انتهـــت إجازتـــي وعدت إلى عملي وجدت الدكتور عطية مهني لم يكمـــل دراســـته، فقد رفضت النزيلات التجاوب معه والاعتراف لـــه بالحقيقة ، فقام بتأجيل باقي الدراسة لحين حضوري ، وحضر وأخبرني أن النزيلات رفضن التجاوب معه ، وأنه لم يكمل دراسته ووجهت لهن بعـــض اللوم وأنه لابد من احترامه والتعاون معه في غيابي ومساعدته كمـــا لـــو كنت موجودة بالفعل .. واعتذرت النزيلات عما حدث ودخل الدكتور لتكملة دراسته ، وفتح حقيبته ليخرج بعض الأوراق والأبحاث ، وقد كان أثناء حديثه معي وبحضور بعض النزيلات يضع حقيبته تحت إبطـــه حرصاً منه كي لا يتعرض لأي حادثة نشل .. ولما فتح الحقيبة وبـــدأ يمـــارس عمله اكتشف عدم وجود النقود بها ، وكانت عبارة عن مـــبلغ أربعمائـــة جنيه (٢٠ ورقة فئة العشرين جنيهاً). فقد تسللت يد إحداهن داخل الحقيبة وسرقت منها النقود واحتفظت بها وأخذت تترقب تصـــرفاته ، واســـتطاعت بخفة يدها وقوة حاسة اللمس عندها أن تميز ملمـــس الأوراق المالية من الأوراق العادية ، ولما سمعته وهو يتحدث معي ويؤكد لي أنه وضع النقود بيده في الحقيبة ولم يستعمل مواصلات عامـــة ، بـــل جـــاء في سيارة المعهد ومع أساتذة المعهد ، فأين ذهبت النقود؟ وابتسمت النزيلة وأعطتني النقود على مرأى ومسمع منه وقالت لـــــه: هذه هي نقودك بالتمام والكمال (علشان) تحرم تغضب وتزعـــل ماما آمال منا !!

أمـــا الثالـــثة: فقد كانت تتجول في الأسواق ، خاصة التي تباع بها المواشـــي بالريف ، تقول: إنها تتبعت سيدة ريفية وزوجها بعد أن باع الـــزوج ماشـــيته (جاموســـة) بمـــبلغ ألفى جنيه ، سارت خلفهما وهما يتناقشـــان والـــزوج مصمم على أن يحتفظ هو بالنقود لأنه أحرص من الزوجة وصممت الزوجة أن تحتفظ هي بالنقود في جيب جلبابها الريفي (ســـيالة).. وضـــعت الـــنقود في منديل ووضعتها في جيبها وسارت.. وكانت النزيلة ووالدة زوجها (حماتها) تسيران خلفها حتى اقتربت منها النزيلة بأدب وهدوء وطلبت منها أن تحمل عنها طفلها لتصلح من شأنها لأن الوشـــاح الذي وضعته على رأسها قد تزحزح وكشف عن شعرها ولم تتعود أن تسير وشعرها مكشوف والسوق كله رجال ، وبكل شهامة وتـــرحاب أخـــذت الســـيدة الطفل منها لتصلح من شأنها ، وأثناء تبادل الطفـــل بينهما كانت والدة الزوج قد وضعت يدها في جيبها وسرقت ما به من نقود ، وأخذت الأم الطفل وشكرتها وسارت بجوار والدة زوجها، ولم تمض لحظات حتى سمعتا صراخ السيدة وهي تصرخ وتبكي وتسأل المارة عمن سرق نقودها.

أما بالنسبة لي فقد حدث أن قامت بسرقتي مسجونة أثناء ذهابي إلى العمـــل، وكانت تركب معي (الميكروباص) بصحبة أحد رجال الشرطة الذي اصطحبها إلى السجن لتنفيذ العقوبة ، وكانت من المسجونات الجدد اللائـــى لـــم يســـبق لهن دخول السجن ، ولذا كانت لا تعرفني فهن لا يســـرقن المعـــرفة. . . ركبت (الميكروباص) من القناطرالخيرية محل إقامتـــي وكانـــت هي فيه من قبلي قادمة من القاهرة ، وجلست بجوار الـــباب ولكـــن فوجئـــت أنها تتخطاني وتحاول النزول قبلي علماً بأنني أجلـــس بجـــوار الـــباب ، ووضـــعت لفافة بها بطانية على حقيبة يدي وحاولـــت مزاحمتي والنزول قبلي ، فنهرتها دون أن يتطرق إلى ذهني

أنها تقصد شيئاً ، ولما ذهبت إلى السجن اكتشفت عدم وجود كيس النقود بالحقيبة ، وتذكرت ما حدث وربطت محاولتها النزول قبلي ووضع لفافتها على حقيبتي ، ربطت ذلك بضياع كيس النقود ووجدتها وقد دخل بها العسكري ليسلمها للمأمور لعمل إجراءات الاستلام من إثبات وتفتيش وتغيير ملابسها وخلافه ، وقلت ما حدث للسيد العقيد مأمور السجن وكان في ذلك الوقت " العقيد محمد سليم الخولي " ، وسألها عن النقود فأنكرت أنها أخذتها بل أنكرت أنها رأتني وركبت معي الميكروباص، ولما هددها بأنه سوف يعاقبها إذا لم تعترف . وذاع الخبر بين النزيلات اللاتي توعدنها ، فكيف تسرق واحدة منهن الأم التي تعطف علينا وتساعدنا وتساعد أولادنا؟ !! فجاءت إليّ واعترفت بأن النقود معها وكان المبلغ عبارة عن خمسة وعشرين جنيهاً وضعتها في صدرها ، أما كيس النقود فطلبت من السيد مأمور السجن أن تخرج بصحبة أحد الحراس لتحضره من أسفل سيارته الواقفة أمام باب السجن .. وفعلاً خرجت مع أحد الحراس وأحضرت كيس النقود بعد أن قذفت به تحت السيارة وأخفت النقود في صدرها ثم صعدت إلى العنبر وهي ترقص وتهلل بين زميلاتها وأنها سرقت الحكومة !!!

هؤلاء الناس يحتاجون إلى من يقتحم عليهم عزلتهم ويرشدهم إلى طريق الصواب حتى تتغير مفاهيمهم وتتبدل أفكارهم ، ولن يحدث ذلك بين يوم وليلة ولكن ونحن في بداية القرن الواحد والعشرين سوف تتغير المفاهيم ، خاصة أن عددا قليلا منهن يلحقن أبناءهن بالمدارس ، كما أن وسائل الإعلام وخاصة البرامج الدينية والتي تتيح الرد على أسئلة واستفسارات المشاهدين تلعب دوراً هاماً وفعالاً في تطوير الفكر الإنساني ، لعل الله يتوب عليهم ويهديهم إلى الطريق السليم .

هـــي من أحد أحياء القاهرة ، في حوالي الأربعين من عمرها، ملمـــة بالقـــراءة والكتابة، من أسرة متوسطة الحال ، والدها يعمل موظفـــا بإحدى الشركات ، عاشت بين أفراد أسرتها البسيطة حياة سعيدة ترفرف عليها السعادة وتسود المودة والعطف بين أفرادها ، وكانـــت أمنيـــتها كأي فتاة أن تتزوج من رجل جاد معتدل يحافظ عليها ويوفر لها حياة مستقرة تشعر فيها بأنوثتها وكرامتها ، وهاهو ذا قد جاء لخطبتها، رجل طيب وقور ، رقيق الملامح ، تعلو وجهه ابتســـامة هادئـــة ، ارتاحت لـــه وقبلته أسرتها عن طيب خاطر ، تزوجـــته وكلها أمل أن تعيش مع رجل تحبه يخاف عليها ويظللها برجولته ، وعلى الرغم من بساطة منزلها وأثاثه المتواضع إلا أنها أحســـت وكأنها تملك الدنيا وما فيها ، وعاشت أيامها الأولى سعيدة ببيتها الصغير تنتظر المستقبل سيفتح لها ذراعيه لتعيش حياة رغدة كما كانت تتمنى وهي فتاة قبل أن تنتقل إلى بيت الزوجية ..

مرت عليها الشهور الأولى من الزواج ورأت أشياء تعجبت لها في بادئ الأمر ألا وهي حرص زوجها على أدق الأشياء وتصميمه علـــى أن يقـــوم هو بشراء أغراض المنزل خاصة أصناف الطعام والتـــي أخـــذت تتناقص حتى أصبحت لا تزيد على صنف واحد ، وذلك كل يومين أو ثلاثة أيام ، وفسرت ذلك في أول الأمر أنه من قبيل الادخار ولكن الأيام أثبتت لها عكس ذلك فقد ازداد بخله يوما بعـــد يـــوم إلـــى أن تحولت حياته إلى عمليات حسابية ، وتجمدت المشاعر بينهما ، وماتت كلمات الحب ، وسقط من فوق وجهه قناع الـــرجل البســـيط ، وظهـــرت لهـــا الحقيقة المرة واضحة وضوح الشـــمس!!! وأخـــذت تفكـــر ماذا تفعل وكيف تسير الحياة في هذا المـــنزل بـــدون مشكلات ، ولكن يبدو أن الأمر مستحيل ، فالزوج يجـــد لذتـــه فـــي وضـــع القرش على القرش ويديرهو دفة الأمور وخاصـــة من الناحية الاقتصادية. أخذت الزوجة تفكر فيما صارت إلـــيه حياتها الزوجية .. ماذا تفعل؟ أتذهب إلى أسرتها وتحدثهم في شـــأن زوجهـــا؟ .. وتراجعت خوفاً من أن يغضب ويثور ويطلقها وتعود إلى أهلها وتلاحقها الإشاعات والأقاويل .

وقـــررت أن تصـــبر وتـــتحمل ، فهـــذا هو قدرها ، وهذا هو مصيرها، ودخلت المطبخ وهي متثاقلة الخطا كئيبة لتجهيز الطعام لأولادها ودموعها الساخنة تنساب على وجنتيها ..

تذكـــرت مولودها الصغير الذي فرحت بقدومه وأيقنت أن ذلك الحـــدث الســـعيد في حياتها سوف يغير من طباع الزوج ، وسالت

دموعها وأخذت تزيل دموعها بيدها وهي تفكر ، ولم تجد أمامها إلا أن تطلب المساعدة من أهلها بعد أن أفهمتهم بمدى ما تتحمله من عذاب بسبب بخل زوجها الشديد ، فحزنوا على حظها ولكنهم نصحوها أن تتحمل وتصبر لعل الأيام تغير من طباعه أمام إلحاح متطلبات الأبناء .

وظلت على هذه الحال طيلة أربعة وعشرين عاماً .. وتذكرت إلحاح زوجها عليها أن تعمل لتساعده في تكوين مستقبل أولادها وتلبية طلباتهم من شراء ملابس ودفع مصاريف الدراسة . وسافرت معه إلى إحدى الدول العربية وظلت بعيدة عن وطنها وأهلها اثنى عشر عاماً ، عملت فيها ممرضة ، كما عملت بحياكة الملابس ، ولكنه كان يسلب أموالها ، فقد كان حبه لجمع المال يسيطر على فكره ، وهو شغله الشاغل ، كانت تشعر بالأسى والحسرة عندما يسألها أبناؤها عن نوع الطعام الذي أعدته للغداء ، وترى الحزن على وجوههم عندما يسمعون الرد على سؤالهم ، فإن نوع الطعام لا يتغير !! . .

وبصوت هادئ حزين تخبرهم أن والدهم هو الذي يشتري الطعام ويتحكم في مصروف المنزل ولا تملك شيئاً ، أخذت الأفكار السوداء تدور برأسها وتتذكر كلمات أبنائها كيف يضن والدنا علينا بالطعام؟ !! .. وتتزاحم الدموع في عينيها عندما تسمع قول ابنها أن والده يفضل القرش علينا ، وأنه يعلم أن المشكلات التي تدور في المنزل سببها بخل والده .. وظلت الأم وحيدة يعتصرها الفكر

والأســـى، تتساءل ماذا يفيد المال إن لم يكن وسيلة لإسعادنا وشراء مـــا تصبو إليه نفوسنا من ملابس ومأكولات شهيـــة؟!.. إن زوجي مجـــرد حارس على هذا المال يحرمه على نفسه وعلينا حتى القليل منه يبخل به على الأولاد ..

وتذكرت حواراً دار بينه وبينها أثناء وجودهما في إحدى الدول العربـــية عـــندما أبـــدت رغبتها في العودة إلى مصر لتعيش هي وأولادهـــا بين أقاربها ويتربى الأبناء في وطنهم ، وقال لها: كيف نعود ومازلنا لا نملك شيئا؟! .. وأذهلها هذا الرد فقالت لـــه: لا تقل لا نملـــك شـــيئا ، نحن نملك الكثير وأصبح لدينا ما يؤمن مستقبل الأولاد ويســـاعدنا على أن نعيش حياة كريمة ، وقد عملت خياطة وممرضة من أجل أن أرضيك ..

ومر عام تلو العام واستسلمت وهي غير راضية عن تصرفات زوجهـــا الشاذة بعد أن أصبحت أما لأربعة أولاد. أثناء وجودها في أرض الغربة وخلال الصيف قرر الزوج فجأة العودة إلى وطنه بعد أن جمـــع أمـــوالاً طائلة ساعدته في جمع الكثير منها ، عادت إلى مصر بعد أن سلبها أموالها وسرقت الأيام جمالها وشبابها ، استقبلها أهلهـــا بفرح غامر واشتياق كبير ... وعندما كان يعود زوجها إلى المـــنزل بعـــد انـــتهائه من العمل في الفترة المسائية ويعود الأولاد الواحد تلو الآخر ويتجمعون جميعا حول مائدة الطعام المتواضعة ، يتـــناولونه فـــيما يشبه الرفض إلا الأب الذي كان ينظر إليهم خلسة وكلـــه غـــيظ ويعلم تماماً أن أولاده يلاحقونه بنظراتهم التي تتهمه

بالبخل ، ولكنه يرى غير ذلك تماماً فما هو إلا رجل حريص على نعمـــة الله ، والمصاريف الزائدة بل التي يعتبرها هو زائدة ما هي إلا تـــبذير نهـــى الله -ســـبحانه وتعالى- عنه ، فالمبذرون إخوان الشياطين، وهو ليس أخاً للشيطان ، وزوجته التي تضايقه بطلباتها وتصرفاتها الغبية..

وذات يـــوم عـــاد من عمله بعد منتصف الليل ونظر إلى وجه زوجـــته بعين ملؤها الغضب ، ثم أشاح بوجهه بعيداً عنها حتى لا يصطدم بها وتحدث مشكلات بينهما، ودخل غرفة نومه وجلس على السرير، ودخلت هي عليه يبدو على وجهها الغضب وسألها . ماذا تريديـــن؟ فـــردت بعصبية: الأولاد في حاجة إلى ملابس جديدة ، فملابســـهم أصبحت قديمة غير صالحة .. لوح بيديه قائلاً بغضب: إن ملابســـهم ما زالت جديدة وعليهم أن يحافظوا عليها حتى العام القـــادم.. قالـــت لـــه: ألا تخجل من نظرات الجيران أيها البخيل؟ كـــادت هـــذه الكلمات أن تفتك برأسه فقفز عليها وهوى بيده على رأســـها ووجههاحتى سقطت على الأرض وهي تصرخ صرخات مدويـــة وراح يـــركلها بعنف في جسدها ، فهبت واقفة و خرجت مســـرعة مـــن الشقة فعدا خلفها وكان الأولاد قد أفاقوا من نومهم مذعوريـــن علـــى صوت صرخاتها ، وتجمع الجيران ، فخلع نعله وراح يضربها ، ومدت يدها تضربه لتدافع عن نفسها بعد أن أهدر كرامـــتها أمام الجيران وتدخل الجيران لفض ما بينهما ، وأعادوها إلـــى داخل الشقة فدخلت غرفتها وأغلقت الباب عليها وجلست على الفراش وراحت في نوبة من البكاء الحار وشعرت بأن كرامتها قد

جرحـــت وإنســـانيتها أهـــدرت أمام جيرانها بعد سنين طويلة من العشـــــرة ... العشـــرة التـــي جعلـــتها تكره بخله المقزز وإهماله وتوبـــيخه الدائم لها . إن الموت أهون لها من هذه الحياة الكئيبة ، أأترك المنزل وأفر من هذه الحيـــاة ؟! .. ولكن ما ذنب الأولاد ؟! أأتـــركهم يعيشون في ذل وهوان مع أب كهـــذا ؟! .. أو ماذا أفعل حتى أريح أولادي؟ . . لابد أن أستمر في بيتي فالأولاد مرتبطون بمدارســـهم ، وظلـــت تفكـــر وهي تدور داخل حجرتها كالمجنونة الحائـــرة وفـــي الحجرة المجاورة جلس الزوج يفكر كيف تحولت زوجته إلى سيدة متوحشة ترفض كل شيء ، وتتمـــرد على زوجها حـــتى أصـــبحت كالبركان الثائر الذي يقذف شتائم وكلمات نابية ، تتهمه بالبخل وأصبحت تلح في طلباتها، فضاعت هيبته وسط الناس والجيران ، وفكر انتقاما لنفسه أن يضربها حتى يخيفها وتيأس ولا تطلـــب منه شيئا ، أو يهـــرب هو مـــن المنزل ويتركها والأولاد ولكـــن أين يذهب؟ .. يذهب إلى فندق ، إن المصاريف في الفندق فـــي الـــيوم الواحـــد أكـــثر من مصاريف الشقة التي يقيم فيها في الشـــهر!. أيذهب إلى شقة مفروشة؟! إن مصاريف الشقة المفروشة أعلـــى بكثـــير .. إذن لابد أن يوقفها عند حدها.. أخذ يتحرش بها حتى لا تتفوه معه مرة أخرى .. نظر إليها والشرُ يتطاير من عينيه نظـــرات كلهـــا كراهية وازدراء .. وقال لها بصوت أجش: لماذا تنظريـــن إليَّ هكذا؟ فقالت لـــه: إنك تحولت إلى عبد للمـــال وإلى وحـــــش مفـــترس !.. فصرخ في وجهها وانهال عليها بالسباب ، فقالـــت لـــه: الموت أفضل لإنسان بخيل مثلك ، قال لها: أتتمنيـــن

المـــوت لـــي يا ... انتظري وسوف ترين من يستحق الموت.. وتـــركها تبكي وذهب إلى المطبخ وأحضر سكيناً حادا كبيرا وهجم عليها . فصرخت صرخة مرعبة وأسرعت ودخلت الغرفة وحاولت إغـــلاق الـــباب عليها ، فجرى وراءها وكل جسده يتصبب عرقاً ، ورفـــع عليها السكين ولكنها انتزعتها من يده بقوة فسقطت السكين علـــى الأرض. التقطتها وانهالت عليه بها حتى سقط على الأرض وفـــارق الحـــياة ، وظلت تصرخ وهي تحملق في الجثة وتصرخ صـــرخات مجـــنونة وتهذي بكلمات هستيرية وتلطم وجهها ، وهي تـــرفض تمامـــاً مـــا حدث وتقول: أنا لم أقتله هو الذي أراد قتلي وأردت الدفاع عن نفسي ، كان يريد أن يقتلني .. هل من المعقول أن أقـــتل زوجـــي وأبو أولادي ؟! وألقت بنفسها فوق جثة زوجها وراحـــت في نوبة من البكاء الهستيري ، ثم هبت واقفة وأسرعت إلى التليفون تطلب والدها وترجوه أن يحضر إليها مسرعاً ..

وتعجـــب والدهـــا فقـــد ظن أنها تشاجرت مع زوجها وتطلب حضـــوره لتستنجد به ، وحضر إليها على وجه السرعة ولم يصدق ما رأى وأصابه الذهول ، ولكنه تماسك وأبلغ الشرطة ، وتم القبض علـــيها وأثبتـــت التحريات وشهادة الجيران والأولاد أنها كانت في حالة دفاع شرعي عن النفس ، وظلت هذه الذكرى تطاردها وتسكن عقلهـــا كمـــا ظلـــت هـــذه الحادثة تتجسد أمامها حتى انطبعت في ذاكرتهـــا.

كيف خدث ذلك؟ أتساءل مرات ومرات كيف انتهى بي المطاف إلـــى أن أســـجن وأعيش وراء القضبان وأحسب في عداد المذنبات وأنـــا الفتاة الهادئة المدللة ، خريجة المدارس الأجنبية التي أمضت حياتها في الإسكندرية بين أم حانية وأب عطوف وإخوة متحابين ، وأقـــارب تـــربطهم روابـــط المـــودة والألفـــة ويسود بينهم الحب والاحتـــرام ؟!!

هذه هي قصتها التي سمعتها منها وأنا لا أصدق أن هذه السيدة الهادئة الرقيقة تقتل إنساناً ، ولكنها كانت تعمل معي بمكتب الخدمة الاجتماعية ، ترتب لي الأوراق ، وأستعين بها في قضاء ما أحتاج إليه أثناء العمل ، فالعمل في هذا المكان بالجهود الذاتية ، حيث يتم تصـــنيف المســـجونات بجميع مرافق السجن ، وقد اخترتها لتعمل معـــي بالمكتب لما لمست فيها من أدب جم وأخلاق فاضلة .. ولا عجـــب في ذلك فهذه حقيقة لمستها بنفسي ، وعايشتها معها ، فهي

سيدة جميلة في حوالي الخامسة والثلاثين من عمرها ، هادئة رقيقة، يحكم عليها من يراها ويتحدث معها أنها من أسرة أرستقراطية راقية ، حاصلة على الثانوية العامة ، تبدأ قصتها عندما عادت إلى مصر بعد فترة زواج فاشلة من ثري عربي .. عادت تحمل حقائبها وأموالها وابنتها ثمرة زواجها الفاشل من هذا الثري العربي ، وتجر وراءها أذيال الخيبة والفشل وعذاب الغربة .. استقبلها أهلها بالترحاب وأخذوا يخففون عنها ما تعرضت له من عذاب ومتاعب من جراء هذا الزواج الفاشل ، ولكن ما فائدة كل ذلك وقد ترك لي هذا الزواج جرحا مازال ينزف .

تزوجتُ من عجوز ثري عشت معه سنوات .. أسرع إليه عندما يناديني ، كلما انتابته أزمة قلبية أمرّضه وأعطيه الدواء في مواعيده .. ألبي كل متطلباته كزوجة وممرضة وخادمة .. وتحملت سنين طويلة من العذاب ، لم أتمرد على حياتي ، ولم أكن قد بلغت العشرين من عمري ، وأصبحت أعاني من الوحدة والغربة وخدمة رجل أكبر من والدى ، بل يقترب من عمر جدي ، حتى استحال جسدي الغض إلى عظام وكست الصفرة وجهي ، وذبل عودي ، ولم أستطع الاستمرار وطلبت منه الطلاق وعدت إلى مصر أحمل ابنتي على كتفي وأجر أذيال الخيبة والندم .

مرت الأيام والشهور وأنا أعيش بين أهلي يعاملونني معاملة يسودها الحب والحنان ، لأنهم سبب زواجي الفاشل من هذا الثري العجوز ، وكانت معاملة أهلي لي تخفف آلامي ، بل جعلتني أنسى

سنوات العذاب التي عشتها بعيداً عنهم ،عادت النضارة إلى وجهي، وتحسنت صحتي ، تعرفت على زوجي الثاني وهو تاجر ثري كان مـــتزوجاً ولـــه أولاد .. رجل وقور مهذب يعمل بتجارة السيارات ولوازمها ، تعرفت عليه عن طريق إحدى قريباتي ، أعجبتني طيبة قلـــبه ودماثة خلقه وما كان يغدقه علينا من أموال وهدايا .. تزوجنا وشعرت بالسعادة والراحة ، وأيقنت أن الدنيا قد ابتسمت لي ، وأن الله –ســـبحانه وتعالى– قـــد أرسل لي من يعوضني عذاب السنين الماضية ، واعتبرت ابنتي هذا الرجل أباً حنوناً لها ، وأسعدني ذلك كثـــيراً ، ومـــرت الأيام وأحسست بتغير وفتور في معاملته لي .. وتحول الفتور إلى هروب من المنزل حتى أصبح يغيب عني أياماً وأصبحت الشقة الفاخرة في نظري كالسجن .. وشعرت بالوحدة ، وانتابتنـــي حالة من الاكتئاب ، وتحدثت معه عما أشعر به ، وكان يعلل ذلك بأسباب كثيرة وحجج واهية ..

ومرت عليّ الأيام طويلة مملة ، إلى أن حضر يوماً وقد ارتسم الحزن على وجهه وأصابه الوجوم .. سألته عن السبب وطلبت منه أن يفصح لي عما يؤلمه ويحزنه .. ولم أصدق ما سمعت ، ونزلت علـــيَّ كلماتـــه كالصـــاعقة ، فقد قال لي : ينبغي أن يترك كل منا الآخر!! صعقت لهول المفاجأة وانسابت دموعي بغزارة وطلبت منه أن يتركني هكذا بلا طلاق ولن أحاسبه إذا حضر أو لم يحضر، فأنا لـــم أسئ إليه ولا أستحق الطلاق ، وفكرت بيني وبين نفسي كيف

يحـــدث ذلك ؟! أأطلق للمرة الثانية ؟ ماذا سيقول الناس عني؟ وأي ذنـــب ارتكبـــته؟ ولكنه رد علي قائلا: زوجتي الأولى طلبت ذلك ، وإذا أبقيـــت عليك فسوف تترك المنزل هي وأولادها وأنت تعلمين أنهـــا عشرة سنين وأولادي يهددونني بترك المنزل ، وأشاح بوجهه بعـــيداً عني ، وهو يردد أن أفضالها عليّ كثيرة وهي أم الأولاد ، وقفـــت بجانبـــي منذ كنت عاملا صغيرا حتى أصبحت مليونيراً ، وحرام عليك الآن أن تكوني سبب خراب بيتها ...

توســـلت إلـــيه أن لا يتخلى عني ولكنه طأطأ برأسه وقال لي: ســـوف أكتب لك الشقة بجميع محتوياتها ، وأعطيك مبلغ خمسين ألـــف جنـــيه وعقد بيع للسيارة .. صرخت في وجهه : إنني لست عاهـــرة أو بنت طريق تدفع لها ثمن الفترة التي قضيتها معها ، أنا زوجـــتك علـــى سنة الله ورسوله .. ولكنه أشعل سيجارته بعصبية وهـــم بالقـــيام وقـــال لي: بعد أيام ستصلك ورقة الطلاق ، وهكذا أصـــبحت مطلقـــة للمـــرة الثانية وأصبحت في محنة نفسية ، ولم يعوضني استقراري المادي عن جرح كرامتي وإهدار إنسانيتي.

ومـــرت علي الشهور حزينة كئيبة .. الحياة تمر من سيئ إلى أســـوأ ، إلى أن ظهر في حياتي كالسحابة السوداء ، أظلمت حياتي وظلت تظللني بالسواد إلى أن زجت بي بين جدران السجن.

حـــدث ذلك عندما ذهبت أنا وابنتي إلى بورسعيد لشراء بعض الملابـــس والمفروشـــات، استأجرت سيارة أجرة وتركت سيارتي لأنني كنت حديثة العهد بالقيادة والطريق طويـــل ..

وصلنا إلى بورسعيد واتفقت مع السائق على مكان ينتظرني وابنتي فيه بعد أن نكون قد فرغنا من الشراء ، وذلك في الساعة الخامسة ، طلب مني أن أعطيه المبلغ الذي اتفقت معه عليه ليشتري بعض الملابس لأولاده من السوق (منطقة حرة) .. أعطيته المبلغ وانصرف ، ذهبت داخل المدينة أنا وابنتي واشترينا ما يلزمنا ، ثم عدت إلى المكان الذي حددته مع السائق في الخامسة كما اتفقنا ، ولكن فوجئت بأن السائق غير موجود ، وظننت أنه لم ينته بعد من شراء ما يحتاجه .. انتظرت ساعة ولم يحضر ، ثم مضت ساعة أخرى ، وحل عليَّ التعب والإرهاق أنا وابنتي وأصبحت في حيرة من أمري ، ثم تملكني اليأس وأوشك الظلام أن يخيم على المدينة ، وذهبت للبحث عن سيارة أخرى حتى وصلت إلى الجمرك ولم أجد سيارة !.. وأنا أتلفت يمينا ويسارا ، حل الظلام بالمنطقة ، بكت ابنتي من فرط الإرهاق والتعب ، وأخذت أهدئ من روعها ، وفجأة ظهرت أمامي سيارة فاخرة وقفت أمامنا ، أطل منها رجل يبدو عليه الوقار والهيبة والثراء ، وسألني هل أعاني من مشكلة ؟! فقلت له بكلمات حائرة: سائق السيارة الأجرة الذي أتى بي واتفقت معه أن يعود إليَّ في الخامسة تركنا ولا أعرف أين ذهب ، وقد حل التعب بنا ، ولا أعرف كيف أعود إلى الإسكندرية في هذا الوقت المتأخر !! فقال وكأنه غير مصدق: أنت يا سيدتي من الإسكندرية؟ قلت له: نعم ، قال لي أنا إسكندراني وذاهب الآن إلى هناك ، تفضلي أنت وابنتك لأوصلكما ، ولم يكن أمامي إلا أن أركب معه

رغم أنه رجل غريب والطريق طويل ، ولما أحس بترددي قال: يا سيدتي أنا المستشار (.....) اعتبريني مثل أخوك تماما .. واطمئن قلبي ، وجلست أنا وابنتي في المقعد المجاور له وبعد أن انتهينا من إجراءات الجمرك قاد سيارته. ورأيت بنفسي كيف أكرموني بعد أن أبرز لهم بطاقة تحقيق شخصيته. و في الطريق أخذ يتحدث معي ويداعب ابنتي بكلمات رقيقة حتى غلبها النعاس ، ونامت وانحني بالسيارة جانبا ، نزل منها وأخذ ابنتي وأرقدها على المقعد الخلفي برفق وحنان وعاد لقيادة السيارة بوقار ، وكان لابد أن أتحدث معه خاصة والطريق طويل .. وبنبرة رزينة سألني عن زوجي ، ولماذا لم يحضر معي ، ولم أعرف ماذا أقول له .. والتزمت الصمت الحائر فاعتذر لي عن تدخله في شئوني الخاصة، وصمت فترة ثم قال: يبدو أنه مشغول .. فقلت له: إنني مطلقة .. فقال لي: يبدو أنني تدخلت في حياتك بطريقة غير مهذبة .. قلت : عفوا يا سيدي .. قال: أنا كرست حياتي لخدمة البلد ولم أفكر في الزواج ، لأنني أوقن أن آلافا من الناس في حاجة إلى خدماتي .. وشعرت بالفرحة عندما علمت أنه أعزب ، فرجل مثله تتمناه أية فتاة وليست امرأة مطلقة للمرة الثانية مثلي .. وسألني لماذا لم أتزوج وأنا امرأة جميلة وشابة مهذبة؟ وحدثته عما حدث لي وأنني أكره الرجال .. أقنعني أن تجربة فاشلة مرت بي لا تجعلني أحكم على كل رجال العالم .. والدنيا مازالت بخير .. وأخذت أسرد عليه قصتي وأنني طلقت مرتين .

ولا أعـــرف لمـــاذا ارتاحت نفسي لـــه بعد أن رأيت سمات العطف والتأثر تظهر على ملامحه ، وفي الطريق أخذ يوقظ ابنتي مـــن نومها ودخل بنا إلى أحد المطاعم ، وطلب لنا طعاما فاخراً ثم عدنا إلى السيارة بعد أن فرغنا من الطعام . أوشكنا على الوصول إلـــى الإسكندرية وقال لى: إنك ما زلت صغيرة وجميلة وأى رجل يتمـــناك زوجـــة لـــه ، أسعدتنى كلماته وأحسست أنني أعرفه منذ ســـنوات طويلة ، وقبل الوصول إلى الإسكندرية اتفقنا على موعد نتقابل فيه فى أحد الكازينوهات العامة، وتقابلنا وتكررت المقابلات، واســـتطاع أن يستحوذ على قلبي وعقلي ، ثم دعوته للحضور إلى شـــقتي لـــيرى والدتي ، وسعدت به والدتي وتمنته زوجاً لي ، كان دائما يتحدث عن نفسه خاصة عندما كنت ألومه عندما يحضر إلينا محمـــلا بالهدايـــا ، ويقـــول: إنني أكره المال وأنظر إليه على أنه وســـيلة للحياة فقط .. وتعلق قلبي به وأصبحت لا أطيق غيابه يوماً واحداً .. وذات يوم حضر إلي وكان يبدو عليه الضيق ، ولما سألته قـــال لـــي: أنا تعبت من الوحدة وكثرة العمل ، ونسيت نفسي ، لا زوجة ولا ولد يحمل اسمي ، ولم أصدق نفسي عندما سمعته يطلب منـــي أن أكون زوجة لـــه، وكانت أجمل كلمة سمعتها .. تزوجنا وعشـــت معه أجمل أيام عمري، أيام قليلة أنستني الماضي بقسوته وآلامـــه ، وغمرنـــي بعطفه وكرمه ، وودعت الأيام السوداء التي نسجت حولي خيوطا من العذاب واليأس والضياع .

أطعـــته طاعـــة عمياء وكنت أرى أنه النور الذي أهتدي به ..

وبعد أن اطمأن إلى أنه سحرني فعلا بأحاديثه وعطفه عرض علي أن أبـــيع شقتي التمليك ونشتري بثمنها قطعة أرض بمكان متطرف فـــي الإســـكندرية(كنج مريوط) ، ثم نبني عليها فيلا نقضي فيها أجمـــل أيامنا ... وكان ردي عليه عليك الأمر وعليَّ الطاعة ، ثم قام ببيع الشقة.. (وقد تأكدت من صدق كلامها عندما حضرت إلى الســـجن ذات مرة الفنانة ميمي جمال لتصوير أحد الأفلام ، ورأتها عـــندي بالمكتب ، وأخبرتني أنها تعرفها ، وأنها اشترت منها شقة تملـــيك ، وتعرفـــت عليها الفنانة ، وظهرت على وجهها علامات الحزن عندما عرفت أنها مسجونة في قضية قتل ، وهي الآن تقوم بتنفـــيذ العقوبـــة لأنها قتلت زوجها ، وقالت لي ميمي جمال: إنها اشـــترت منها شقة تمليك بالإسكندرية ، وقالت: إنه من العجيب أنه أثـــناء بيع الشقة والاتفاق على ثمنها كانت تجلس صامتة وزوجها يتفق معنا على الثمن ، وهو الذي تسلم ثمن الشقة) .. ومرت شهور ولم تسأله عن عنوان عمله ورأت أنه لا داعي لذلك ، فهي مستقرة، وهـــو يعاملها معاملة حسنة ، ولا داعي لجلب المشكلات .. وذات مساء وهي تتناول معه العشاء سألته عن عنوان عمله ورقم تليفونه لكـــي تتصل به إذا ما أصابها مكروه ، وخاصة أنه يخرج ويتركها بمفـــردها فـــي الشقة .. تغيرت لهجته وانقلبت سحنته ، وقال: ما الغريب في ذلك؟.. كل الرجال يذهبون إلى العمل ويتركون النساء فـــي المنزل .. ونظر إلي وكأنني فعلت منكرا أو أخطأت ، وملأت حمرة الخجل وجهي وبنبرة لا تخلو من العقاب أفهمني أنه يعمل في

مركز حساس ولا يتواجد في مكان واحد ، وطلب مني أن لا أشغل بالي بمثل هذه الأمور ، وغير مجرى الحديث .. وخرج إلى عمله .. وســوس لى الشيطان وأخذ يعبث بعقلي أن أبحث في مكتبه عن رقــم تليفونه أو عنوان عمله ، ودخلت غرفة المكتب وأخذت أقلب فــي الأوراق ، ووجدت كشفا مطولا بأرقام تليفونات كثيرة بعضها لنساء وبعضها لرجال ثم عثرت على بطاقة تحقيق شخصية مدون عليها اسمه وخاصة بنقابة المحامين ، ومدون بخانة المهنة محام ، ثــم وجــدت خطابا يفيد بأنه صحفي ، ثم عثرت على ورقة أخرى تفــيد أنــه مديــر مكتب وزير بوزارة كبيرة ... أصابني الذهول وأعــدت كل شيء إلى ما كان عليه !! ارتبك عقلي، وجلست أفكر حتى حضر زوجي في موعده ، وفكرت أن لا أسأل عن شيء حتى لا أخرب على نفسي .. ومادام هو معي ويغمرني بالعطف والحنان فلا داعي لإثارة المشكلات ..

مرت الأيام وأحسست بتغير في معاملته لي ، وسألته عن سبب ذلــك فقــال لي: أكنت تبحثين عن شيء في مكتبي؟ تظاهرت بعدم المــبالاة وقلــت لــه: كنت أرتب المكتب فقط .. قال أرجو أن لا تعبثــي بشيء وسوف يجيء اليوم الذي تعرفين فيه أن زوجك بطل مخلــص لــبلده .. وأصبحت في صراع بيني وبين نفسي، ودخل الشــيطان بينــنا .. وذات لــيلة حضر زوجي يحمل حقيبة فاخرة وأعطاهــا لي، وطلب مني أن أضع فيها نقودي ومجوهراتي لأنها أكــثر أماناً من حقيبتي ، وأعطاني مفاتيحها ، وجمعت فيها كل ما

يخصـــني من مـــال ومجوهرات ووضعتها في الدولاب.. في هذه الفـــترة كنـــت قد أنجبت منه ابننا الوحيد ، وفرحت به وشعرت أنه ســـوف يوطـــد العلاقـــة بينـــنا .. وجاء اليوم الذي لن أنساه طول عمري!! . . دق جرس الباب وأسرعت نحوه ، وظننت أن زوجي أصـــابه مكـــروه فحضـــر قبل موعده ، وفتحت الباب وأنا خائفة أرتجف ، وجدت أمامي امرأة فائقة الجمال ، شعرها ذهبي مسدول حـــتى خصـــرها ، ووجههـــا أبيض رقيق الملامح وكأنها عارضة أزيـــاء، أو نجمـــة مـــن نجوم هوليود ، ولما رأت مني فتوراً في معاملـــتها طلبت مني السماح لها بالدخول لأنها جاءت في أمر هام يخصـــني بل يخص زوجي .. وأحسست أن هناك سراً كبيراً وراء حضـــور هذه السيدة ، أدخلتها وجلسنا في حجرة الاستقبال ، فتحت حقيـــبة يدهـــا وأخرجت ورقة وكانت قسيمة زواجها من زوجي ، وكـــاد جسدي أن يهوى على الأرض ، تماسكت وقلت لها: أقسمي لـــي أنهـــا حقـــيقة وأن هـــذه القسيمة غير مزورة ! .. نظرت لي وســـردت قصـــتها مع زوجي ، وقالت لي: إنها شقيقة أحد الفنانين الكـــبار ، وأنها الزوجة السابعة عشرة لزوجها ، وأنها وضعت كل أموالهـــا تحت تصرفه لأنها أحبته وجردها من أموالها وممتلكاتها ، ثـــم علمـــت أنه نصاب متخصص ومحترف للإجرام ، ويتاجر في اغتصـــاب أراضي الآخرين والدولة، ويحتال على النساء المطلقات والعوانـــس ، وله نشاط إجرامي وأنه يدعي أنه مستشار أو صحفي ومحـــام .. ومـــنذ أيام علمت أنه تزوج منك فأيقنت أنه سلبك كل

شيء.. صرخت في وجهها وقلت لها: وابننا؟ .. قالت: لا يهمه إلا نفسه .. ثم تذكرت الحقيبة وأسرعت إلى مكانها ووجدتها كما هي موجودة ، واطمأن قلبي ولكن عدت وفتحتها ثم صدرت منى صرخة مدوية فقد كانت الحقيبة فارغة تماما من المال والمجوهرات ، ثم جلست أنتظر حضور زوجي ، حضر زوجي ونظرت إليه ولا أدري كيف استحال في نظري إلى شيطان ، وجهه كوجه سفاح ، وأخذت أحدق في وجهه برعب وكراهية ، ونظر إليَّ وسألني عما بي ولم أرد .. ثم صرخ في وجهي انطقي ما بك؟ وقلت له بعد أن حركت لساني بصعوبة: أين أموالي ومجوهراتي؟!.. قال: إني أودعتها في بنك .. فقلت له: أي بنك؟! إنك لص ..ألا تعرف أنني قابلت اليوم زوجتك السابعة عشرة وعلمت أنك محتال ونصاب ؟! لطمني على وجهي، واشتعلت نيران الغضب في جسدي ، وصرخت صرخات هستيرية ماذا أفعل؟ فقد تزوجت ثلاث مرات ، والمجتمع كله سيقف ضدي ، ..

كانت ضحاياه الثلاث سيدات جميلات ، منهن مدرسة لغة إنجليزية أخذت تروي لي كيف دمرها هذا الوحش ، وكان يحضر من قسم سيدي جابر ضابط مباحث يسأل عنه وكان يهددنني بالقتل إذا ما أفشيت سره ، وأخذ يتفنن ويزيد من تعذيبي ويطلب مني أموالي الخاصة بعدما علم أن والدتي ورثت بعد وفاة والدها ، وأن والدي قد أخذ مستحقاته بعد إحالته الى المعاش ، وكان يقيدني بحبل ويربطني بالسرير ويطفئ السجاير في جسدي ، ويمنع أهلي من

الدخول إلى المنزل .. واستبد بي اليأس وفكرت في وسيلة للخلاص منه ، وكنت أضع له الحبوب المخدرة التي كانت تستعملها أمي في كوب اللبن نصف قرص كل مرة لينام وأريح نفسي من شره، وذات يوم وضعت له عدد أربعة أقراص في كوب اللبن بعد أن أهان كرامتي وقال لي: جهزي لي العشاء يا حمارة .. فكرت في وسيلة أنتقم بها لنفسي ، وأعيد بها كرامتي وإنسانيتي التي أهدرها.. تناول كوب اللبن وشربه وتمدد بجسده على السرير وأخذ صدره يعلو ويهبط وتكاد أنفاسه تتوقف ، وأسرعت إليه وانتابتني نوبة من البكاء وأخذت أدلك صدره وجسده حتى انتظمت أنفاسه ، ودخلت المطبخ لأنظف أطباق العشاء ودارت الأفكار السوداء في رأسي مرة أخرى .. وسوس لي الشيطان ، وفكرت في قتله ..

في اليوم التالي اتصلت بي ابنتي التي كانت تعيش مع أهلي وأخبرتني أنها مخنوقة وبأنها تشعر بكابوس على صدرها وطلبت مني أن تحضر لزيارتي ، ودعوتها للحضور ، وبما أنني أعلم أنها تحب السمك أخذت سيارتي وذهبت إلى أحد المطاعم لأشتري لها السمك وأتناول الغداء معها ، وأثناء ذلك وصلت ابنتي ، تركتها وذهبت لشراء السمك ، وبعد ذلك حضر زوجي مخموراً إلى المنزل يترنح ، ووجد ابنتي بمفردها ، ولا أستطيع أن أنسى هذا اليوم الأسود !! .. وجدت ابنتي تبكي وثيابها ممزقة وفي ظهرها أثار جرح أحدثه لها بعد أن قذفها بسخان كهربائي صغير كنت أستعمله لعمل الشاي والقهوة خاصة إذا ما فرغت أنبوبة الغاز ..

ودخلت غرفة نومي كالمجنونة ووجدته فاقد الوعي ممد الجسد على السرير ، وفي نفس الغرفة ينام ابني الصغير ، ولم أر أمامي إلا شيطاناً .. وبدون أن أدري أخذت ساطوراً كبيرًا من المطبخ ، وبقوة خارقة صارت في جسدي أخذت أطعنه بعقل شارد ويد مجنونة ، وانتفض من نومه عندما طعنته أول طعنة وقال لي: (عاوزة تقتليني يا بنت الكلب) .. طعنته بمفردي خمسة وثلاثين طعنة ثم سحبته إلى الحمام غارقا في الدماء كالذبيحة ، وفصلت رقبته عن جسده كما تذبح الشاه ، وأخذت أقطع من لحمه حتى تجمعت أمامي قطع كبيرة من اللحم .. وضعت بعضا منها في حقيبة سفر كبيرة ، وركبت سيارتي ، ووضعت الحقيبة خلف باب أحد المباني الحكومية ، اتضح لي أخيرا أنه مبنى قسم شرطة كينج مريوط .. وكان في الحقيبة كارت صغير تركته فيها عليه اسمي من الفترة التي كنت أسافر فيها مع زوجي الأول وألقيت الأجزاء الأخرى في مناطق متفرقة كالمعمورة وأبي قير .. ثم عدت إلى المنزل لأزيل آثار الدماء التي لطخت الشقة ..

والآن أتساءل: أحقا أنا قاتلة؟ .. وهل قتلت زوجي أم قتلت شيطانا أهدر كرامتي وإنسانيتي؟!! .. لا بل قتلت شيطانا دمر حياتي وسلب أموالي ومجوهراتي .. اعتدى عليَّ بالضرب والسب والتعذيب دون أن أسيء إليه ولم أكن أستحق منه هذه الإهانات .. والآن بماذا أفادني المال والمجوهرات ؟! لم يفدني المال بشيء ، بل كان سبباً في سجني وتعذيبي ، وإهدار كرامتي وحرماني من فلذات كبدي ، وقد كنت أتمنى أن أعيش في بيت متواضع مع

إنســان طيــب يعطف علي ويبادلني الحب والاحترام ، ولكن ماذا أقول أو أفعل ؟! أصبحت في نظر المجتمع قاتلة سفاحة ، وأنا التي تخاف ذبح دجاجة .. وما تبقى من القصة فهو مفاجأة جعلتها تغيب عــن الوعي ساعات طويلة بعد أن رأت أمامها شابا أطول منها لم تــره منذ ثمانية عشر عاما حضر لزيارتها ويريد شهادة تثبت أنها مســجونة ليقدمها للجيش بعد أن أستدعي لتأدية الخدمة العسكرية ، رأت أمامهــا رجلاً من دمها ولحمها يبحث عنها ويحضر لزيارتها بعد وفاة والده ، وهو ابنها من الرجل الثاني في حياتها ، ويقول لها لا تحزنــي يــا أمــي فلن أتأخر عن زيارتك والحضور إليك ولن يمنعني شيء عن ذلك ، فأنت أمي وسوف أعوضك ما فات ، وهو يتردد عليها لزيارتها كلما سمحت لــه الظروف بذلك .. أما ابنتها فقد شقت طريقها في الحياة وتعمل لتنفق على نفسها بعد أن حصلت علــى الــثانوية العامة من إحدى المدارس الأجنبية .. أما ابنها من الــرجل الثالث فقد تم إيداعه إحــدى المؤسسات الاجتماعية . ولا تخلــو حــياته مــن مشــاكل ... أحاول حلها وإعادته للمؤسسة بمســاعدة الســيدة فريدة الأتربي والسيدة مديرة قرية الأمل بمدينة نصر . أما ابنها من الرجل الثاني فأبحث لــه عن عمل بعد أن تم إعفــاؤه مــن الخدمة العسكرية ، وأرجو أن يوفقه الله ، فهو شاب مهــذب توفــى والده وهو بار بزوجة والده ، ويثني عليها دائماً ، ويحمــل لهــا جمــيل رعايته وتربيته منذ الصغر ، وأنها أحسنت معاملــته ولــم تشعره يوماً بأنها زوجة أبيه ، بل كانت له نعم الأم جزاها الله خيراً .

وضعت لزوجي السم فشربه ابنى الوحيد !

مازلـــت أســـمع صـــرخاته وأنينه يخترق أذني فيمزق أحشائي ويفتت كبدي !!

إنه فلـــذة كبدي ووحيدي الذي رزقني الله به بعد بناتي الأربع..

فعلـــى الـــرغم من مرور سنوات طويلة إلا أنني مازلت أسمع صـــوته وكأنه الآن ، وحتى اليوم تصدر أصداء أنينه أصواتا تذيب قلبي وتشعرني بالغثيان ..

فقـــد تجـــرع ابنـــي الوحيد كوب الشاي الذي وضعت فيه السم وأردت به الانتقام من زوجي وإنهاء حياته ، لأستقر وأتفرغ لتربية أبنائي ..

فقـــد أصـــبحت الحياة مستحيلة بيننا ، كان يقسو عليّ ويعاملني معاملـــة سيئة جافة ، ويشعرني دائماً بأنني لا أفقه شيئاً ، ويسلبني آدميتي وكأنه تزوجني لينتقم مني .

هي من إحدى قرى محافظة الغربية في حوالي الثالثة والثلاثين مـــن عمـــرها ، من أسرة متوسطة الحال ملمة بالقراءة والكتابة ،

يعمـــل والدها باليومية ، وهي الثانية في الترتيب بين أشقائها .. لها أربعة أشقاء ذكور وأنثى واحدة غيرها .. وتوفيت والدتها وعمرها أربعـــة عشـــر عاما .. زوجها والدها وعمرها ستة عشر عاما من رجـــل يعمل بمصنع ، أنجبت منه أربع بنات وولداً واحداً .. ترك زوجهـــا القـــرية وســـافر إلى القاهرة ليعمل حارسا (بوابا) لإحدى العمـــارات ، وعملـــت هـــي بائعة بأحد مصانع الملابس الجاهزة لتساعد زوجها على المعيشة ، خاصة وقد أصبح لديها خمسة أبناء لهم متطلبات كثيرة من مأكل وملبس وأدوية علاوة على المصاريف الدراسية ..

وكـــان زوجها يحضر إلى البلدة مرة كل عشرة أيام ، ثم يسافر إلـــى القاهرة .. وبحضوره تسود الدنيا وتنقلب الأوضاع رأساً على عقـــب علـــى عكـــس العادة عندما يعود رب البيت الغائب محملاً بالهدايـــا ويحـــاول تعويض زوجته وأبناءه قسطاً وفيراً من الحنان الـــذي افتقدوه وهو بعيد عنهم ، فلم يكفّ عن المشاحنات معتقداً أن هـــذه هـــي الرجولة ، خاصة إذا ما علم أنها ذهبت لزيارة أهلها ، يتشاجر معها ويهددها بالطلاق إذا ما تبين لـــه أنها تذهب لزيارتهم أثناء سفره ..

وحاولـــت مـــراراً وتكراراً أن تقنعه أنها في حاجة إلى أشقائها خاصـــة وأنه يغيب عن المنزل ومعها أطفال، فلابد لها أن تستعين بهـــم إذا مـــا أصابها مكروه ، ولكنه كان يصم أذنيه ولا يقتنع بما تقول ويستمر في تهديده لها .

ســـافر الـــزوج إلـــى عمله بالقاهرة ثم عاد في نهاية الأسبوع وعنـــد وصوله إلى المنزل استقبلته فرأت علامات الغضب ترتسم

علـــى وجهه ، ويتطاير الشرر من عينيه ، فسألته عن السبب وقال لها: إنك عصيت أمري وخرجت عن طوعي وذهبت لزيارة أسرتك ولـــم تحترمـــي غيابـــي ، بل تفعلين ما يحلو لك ، وهذا كفيل بأن يجعلني أترك العمل وأقيم بالمنزل لحراستك حتى تلتزمي وتتعلمي الأدب وتـــنفذي أوامـــري .. ضـــاق بها الحال واسودّت الدنيا في نظـــرها خاصـــة عندما صارحها بأنه سوف يترك العمل ، فسوف تحـــل كارثة عليها وعلى أولادها من جميع النواحي ، خاصة وأنهم في ضائقة مالية باستمرار بسبب قلة الدخل وكثرة عدد أفراد الأسرة ، ووســـوس لهـــا الشيطان ولعب بأفكارها .. ونظراً لجهلها وعدم إيمانها لم تدرك عواقب الأمور ولم تفكر في نتيجة ما تنوي فعله ، وأعـــدت له الطعـــام ووضعت له السم في كوب الشاي ، وتركت الكـــوب على منضدة صغيرة دون أن تنطق بكلمة واحدة ، فقد كان الخصـــام هـــو نهاية كل شجار يدب بينهما ، ويبدو أن النوم غلبه فانصـــرفت هـــي وانشـــغلت في غسيل ملابس أولادها ، ولم يكن بالمنزل أحد من أبنائها ، وكان ابنها الوحيد يلعب بالشارع، وبعد أن فـــرغ مـــن اللعب بالكرة حضر مسرعاً إلى المنزل ، قد كان شديد العطـــش، ودخل إلى الحجرة التي ينام فيها والده ونظر في وجهه فرآه نائماً فرفع كوب الشاي إلى فمه وشربه ثم جلس على الأرض يصرخ ويتلوى ويتصبب العرق من وجهه ..

وســـمعت الأم أنينه وصرخاته فهرعت إليه مذعورة كالمجنونة تشـــد شـــعرها وتلطم خديها وتمزق ثيابها .. أدركت سوء فعلتها ،

وتــدارك زوجهــا الأمر ، وتنبه لما حدث وأيقن أنها وضعت السم لـــه فشــربه فلــذة كــبدها ، أسرع الأب مذعوراً إلى المستشفى واستدعى أحد الأطباء ليسعف ابنه الوحيد الذي ذهب ضحية العناد والشجار على أتفه الأسباب ..

ولكــن قــدّر الله وما شاء فعل ، واكتشف الأطباء سبب الوفاة واتهمها الزوج بوضع السم له لقتله فدفعت الثمن غالياً .

شــربه ابــنها الوحيد فلذة كبدها وأخذ يتلوى والسم يسري في أوصـــاله والعرق يتصبب من جبينه ، وهبت مذعورة تلطم خديها وتمــزق ثيابها وتقطع شعرها. وحيدها ملقى على الأرض يصارع الموت ، حتى فارق الحياة .

ومازالـــت هـــى حتى الآن تسمع صرخاته وصوت أنينه الذي لا يفـــارق أذنـــيها ، ومنظره وهو ملقى على الأرض يطاردها كل لحظة يمزق قلبها ويصيبها بالغثيان .

عالجـــت الأم المشـــكلة بمشكلة أكبر. دفعت فيها ثمناً غالياً هو حياة ابنها الوحيد .. إن زوجك يعاملك بقسوة وينغص عليك حياتك ويمـــنعك من زيارة أهلك فهل قتل النفس التي حرم الله قتلها تكون بهـــذه البســـاطة ؟ وهـــل وضـــع السم لـــه في الشاي يكون بهذه السهولـــة؟ .أين ضميرك؟ ..

إن الطـــلاق أبغض الحلال عند الله ولكنه الحل الوحيد في هذه الأمـــور التي أصبحت فيها الحياة مستحيلة بين الزوجين .. لماذا لم تطلبـــي الطـــلاق منه وتحكمي أهلك وأهله ليفصلوا بينكما وتضعي حـــلاً لهذه المشاحنات بدلاً من أن تضعي لـــه السم فيشربه وحيدك ثـــم يزج بك في السجن وفي قلبك جرح لا يندمل؟!! وأمام عينيك صـــورة ســـتظل شاخصة مدى الحياة . حفرت هذه الحفرة لزوجك فوقع فيها أحب الناس إلى قلبك ، إن من وضعت لـــه السم هو بشر وهو إنسان بينكما عشرة وعهد وميثاق، فكيف تطاوعك نفسك على قتله وإزهاق روحه؟! .. وكيف طاوعت الشيطان وأقدمت على هذه الجـــريمة المنكرة؟ !! .. لعبت بالنار فحرقت نفسك وفقدت أعز ما عندك .

وشربت من نفس الكأس !!

هـــي من أحد مراكز محافظة الدقهلية ، في الخامسة والثلاثين من عمرها ، لم تتلق أي تعليم ، توفيت والدتها وهي صغيره السن، والدهـــا يعمـــل فـــي إحدى الورش الميكانيكية لتصليح السيارات ، يتعاطى معظم أنواع المخدرات من أجودها إلى أردئها حسب حالته المالـــية ، لا تربطه بأولاده الخمسة أية روابط أسرية ، ولم يشعر بوجودهـــم ولـــم يشعروا أيضاً بوجوده ، . . . تركهم يسعون في الأرض تذروهـــم الرياح وتعصف بهم الأيام ، منهم من يقضي ليله على الرصيف ، ومنهم من يقضيها في بيوت الله ، ومنهم من يبيت لـــدى الأسرة التي يعمل لديها .. تزوج الأب ولم يكن حظ زوجته الثانية أحسن من حظ أبنائه .. فقد كان يتركها دون أن ينفق عليها.. ولقى أولاده منها نفس المصير ، فهو كعادته لم يتغير ، رجل سلبي مســـتهتر ، يعيش لنفسه ، يحضر إلى منزله آخر الليل يترنح وهو فاقد الوعي .. تصدر عنه تصرفات مشينه مخذية ، وقد ورث ابنه من زوجته الثانية نفس الخصال ، فقد كان يحاول الاعتداء عليها .. فمن شابه أباه فما ظلم ..

وكنـــت أنـــا الأنثى الوحيدة بين خمسة إخوة منهم ثلاثة أشقاء واثنان غير أشقاء . تركت زوجة والدي المنزل وذهبت لتعيش مع أســـرتها بعـــد أن اشـــترط عليها والدها وشقيقها أن تترك أبناءها لوالدهـــم ، فـــي هـــذه الحالة سوف يقبلها والدها لتعيش مع إخوتها ويعتـــبر أنهـــا لم تتزوج ، ووافقت على ذلك ، فقد رأت أن الحياة مستحيلة مع رجل لا ينفق عليها ولا يحسن معاملتها ، دائم الشجار معهـــا ، لا يـــتحمل مسئولية زوجة أو أولاد .. خرج الأولاد إلى الحياة دون توجيه أو إرشاد ، ضحية أب فاسد لم يلحقهم بالمدارس، ووجـــدت نفسها مرغمة على ترك المنزل هرباً من والدها وشقيقها لتحمي نفسها من سوء تصرفاتهما واعوجاج سلوكهما .

وتقـــول: دفعتنـــي هذه الحياة إلى ترك المنزل دفعاً ، وألحقنى صاحب والدي بالورشة التي يعمل بها بعمل لدى رجل من أصحابه ، وكانـــت لـــــه تصـــرفات وأفعال مريبة ، وكان غريب الأطوار والأحوال ، ولم تكن لديّ الخبرة أو القدرة على تمييز الأمور ، فقد كنت في حوالي الرابعة عشر من عمري .. وبمرور الوقت علمت أنـــه يعمل بالسحر. مرت الأيام وبلغت الثامنة عشرة من عمري ، وتزوجـــت من رجل يعمل بأحد المطاعم ، وأنجبت منه ثلاثة أولاد ذكور .. وسارت الحياة عادية ، فلم يكن بزوجي عيب يجعل الحياة معـــه مستحيلة ، بل كان رجلاً هادئ الطباع ، طيب القلب ، على عكـــس ما تعودت عليه من طباع والدي . هكذا وصفت زوجها .. أمـــا هي فقد كان استهتارها وعدم تحملها للمسئولية وعدم اكتراثها بعواقـــب الأمور من أهم الأسباب التي دمرت حياتها ، وتسببت في

تشـــريد أبـــنائها ، فلـــم تحافظ عليهم ولم تضمهم إلى حضنها ، بل عرضتهم لنفس ما تعرضت لـــه من مصير ..

وذات يوم حضر رجل يدق باب الشقة المجاورة لشقتها ويسأل عن جارتها . ولما لم يجدها بالشقة خرجت هي لـــه ، وعلمت منه أنـــه أحد أقارب جارتها ، وأنه دق جرس بابها ويبدو أنه لا يوجد أحد بالشقة ، فاستدعته للدخول دون اعتبار لوجود زوجها أو غيابه أو مـــراعاة لحـــرمة مـــنزلها .. استدعته للدخول فدخل ، وانتظر جارتهـــا حـــتى حضرت ودخل الرجل ولم يمانع ولم ير حرجاً في دخـــول منزل رجل غريب وهو غائب وبدون إذن ، ويبدو أنه كان من نفس الطباع .. تكرر حضور الرجل وتكرر دخوله شقتها ، بل أحـــياناً كانـــت تذهب هي إلى شقة جارتها أثناء وجوده ويتناولون الشاي معًا أثناء وجود الزوج بالعمل .. فهو يخرج في الصباح ولا يأتـــي إلا آخر الليل بعد الانتهاء من عمله في المطعم ، وهو منهك القوى بعد عمل يوم شاق .. ولم يتحرج الرجل من إظهار عواطفه نحوها وملاحقته لها بنظراته إلى أن عرض عليها الزواج ، فطلبت الطـــلاق من زوجها فرفض ، وصارحته بحقيقة الأمر ، واعترفت لـــه بدون تحفظ أنها تحب قريب جارتها وترغب فى الزواج منه ، وهددته بترك المنزل والأولاد .. ولم يجد الزوج بداً من تطليقها .. تركت المنزل وتزوجت من هذا الرجل .. وتقول: لا أنكر أن انتقام الله -عـــز وجـــل- منى كان عدلاً وجزاءً لي على ما فعلته ، وقد شـــربت من نفس الكأس الذي سقيت منه زوجي! بل تجرعت المر والذل والهوان ، وقد كان زوجي يحضر إلى المنزل ومعه السيدات

الساقطات ، يسهر معهن ويشرب الخمر أمامي .. وكثيراً ما كانت تظـل معـه واحدة منهن بالمنزل لعدة أيام ، يأمرني بأن أقوم على خدمـتها وأعد لها الطعام ، فإذا ما ظهرت مني أي بادرة تذمر أو احـتجاج يضـربني ضرباً مبرحاً ، يترك علامات على جسدي ، وكثـيراً ما كنت أذهب إلى قسم الشرطة لأحرر محضراً بما يحدثه لي من إصابات وجروح بسبب تعديه عليّ بالضرب حتى أصبحت أشـهر من النار على العلم عند ضباط الشرطة .. فكرت كثيراً في الخـلاص مـنه ، ولكـن إلى أين ولمن أذهب ؟! والدي لم يحاول السـؤال عـني ولو مرة واحدة وربما لا يعرف لي عنوانا .. وهل أذهب إلى طليقي الذي جرحت كرامته وطلبت منه الطلاق وتركت له الأولاد فأصبح بين جيرانه وزملائه في موقف لا يحسد عليه ؟! تركـته بـدون أي ذنـب من أجل نزوة شريرة .. من أجل شهوة شيطانية .. ومن أجل رجل لا يمت للإنسانية بأي صلة.. ليس لديه أي قـيم أو أخلاق .. وفي يوم من الأيام وبعد قيامه بتوديع إحدى السـاقطات التـي أقامـت معه بالمنزل أكثر من أسبوع أقوم على خدمتها مرغمة ذليلة ، رأيته وقد عاد بعد توصيلها وكأنه الشيطان، واسـودّت الدنـيا في عيني ، وملأ الحقد قلبي ، وكان قد فاض بي الكيل وقررت وضع حد لهذه المهزلة التي أعيش فيها ، وأثناء هذه اللحظات السوداء التي مرت بي كان الشر يتطاير من عيني والغيظ يمدنـي بقوة خارقة .. لم أشعر بها من قبل ، كنت أشعر أن رأسي أكـبر مـن حجمهـا بكثير ، بل أكبر من جسدي .. كنت أقيم في الطـابق الأرضـي ، وتوجـد حديقة صغيرة بالمنزل، ذهبت إليها مسرعة وأحضرت الفأس منها ، ودخلت حجرة نومي ووجدته يغط

في نوم عميق ، فهويت على رأسه بالفأس وهو نائم على السرير ، فلمـــا تـــأكدت أنه فارق الحياة سحبته من فوق السرير وأقسم أنني كنت أشعر أنني أحمل في يدي ورقة ، فقد كان بجسدي قوة خارقة.

خرجـــت مـــن حجـــرة النوم وألقيت به في الحمام وأحضرت زجاجـــة بها كيروسين وسكبتها على جسده وعلى الأماكن الحساسة به ، وأشعلت فيه النيران ثم تركته وأسرعت إلى قسم الشرطة الذي طالمـــا توجهت إليه لينقذوني منه ، واعترفت بما حدث ، ووضعت القـــيود فـــي يـــدي وحكم عليَّ بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وأنا الآن أقضـــي زهرة شبابي خلف القضبان بعد أن شربت من نفس الكأس الذي سقيت منه زوجي وأبا أولادي ، وتمردت على الحياة معه .. أما أولادي فقد أخذتهم جدتهم لأبيهم ويعيشون الآن في رعايتها .

أما أنا فقد نشأت في أسرة مفككة ضحية أب سكير أناني لم أتلق مـــنه أي توجيه أو إرشاد ، ولم يلحقني بالتعليم ،عاش لنفسه فقط ، تجرد من الأبوة بل من الإنسانية ، شربت منه الاستهتار ، لم يلقِّني دينا ولا قيما ، فقد طلبت من زوجي الطلاق بلا استحياء وصارحته بالحقيقة دون أن أشعر بخجل !! فأنا فرع أعوج من شجرة عوجاء تستحق الإحراق بالنار.

ولا أجـــد تعليقاً على ما كتبت سوى أن أقول: إننا إذا ما رأينا طفـــلاً فاسداً فلا نلوم إلا أنفسنا ، فإذا كان رب البيت بالدف ضاربا فشـــيمة أهـــل البيـــت كلهم الرقص . وما هو إلا نبت فاسد كنبت الهالوك يحرق كل نبات طيب حوله !!

بدأت حياتي بالخطيئة وأنهيتها بالسجن !

هى من أحد أحياء القاهرة الشعبية من أسرة رقيقة الحال ، في العشـــرين مـــن عمرها، لها أخـــوان وأخت واحدة . بدأت حياتها بالخطيـــئة والتخـــبط من سيئ إلى أسوأ ، وانتهت إلى السجن في قضـــية قـــتل وســـرقة ، وحكـــم عليها بالمؤبد وحكم على زوجها بالإعـــدام !!!.

لـــم تفق من طيشها ولم تستفد مما مر عليها من أحداث دمرت حياتها حتى زج بها إلى السجن لتنتهي سلسلة من الأخطاء والسير المعـــــوج .. كانت تعمل لدى أحد أطباء أمراض النساء ، تخرج يومـــياً لتذهب إلى عملها ، لم تكن ملتزمة ولا منضبطة ، لذا طمع فـــيها من رآها ، وأيقن أنها سهلة الاستهواء ، كانت تركب سيارة أجرة لتصل إلى عملها ، تعرفت أثناء ذهابها إلى عملها على سائق الســـيارة التي كانت توصلها إلى عملها ، ونشأت بينها وبينه علاقة بـــدأت بتـــبادل الحديـــث والكـــلام المعسول والغـــزل ثم انتهـــت بالخطيـــئة !!.. وذات يـــوم لم يحضر السائق ، فسألت عنه صديقا لـــــه فأخبرها أنه مريض بمنزله ، وأنه يدعوها للذهاب إليه ، فهو مريض وزيارة المريض واجبة ...

أقنعـت نفسـها بذلـك لأنها في قرارة نفسها ترغب في رؤيته والاطمئـنان عليه . ودون أن تفكر في عواقب الأمور ، ودون أن تضـع الأمـور فـي نصابها ، ذهبت إليه في شقته ، وهو أعزب وحـدث ما حدث واعتدى عليها ، ومن هنا بدأت تسير في طريق مظلم مملوء بالأشواك ، خاصة حينما اكتشفت أنها حامل .. توسلت إليه وأخذت ترجوه أن يتزوجها .. فنهرها ، ورفض رفضاً تاماً .. بـل أهانهـا وأهدر كرامتها قائلا: أثبتي ذلك وأثبتي أن هذا الحمل مني . وطردها شر طردة . اسودت الدنيا في عينيها وأخذت تفكر مـاذا تفعـل والأيـام تمر ، وكانت في شهرها الثاني ، لجأت إلى الطبيـب الذي كانت تعمل عنده ولكنه رفض أن يجري لها عملية إجهـاض حتى لا يُغضب الله . كانت قد بلغت الشهر الرابع وبدأت أعـراض الحمـل تظهـر عليها ، وتورمت قدماها وساور الشك شـقيقتها وزوجة شقيقها .. أنكرت فاصطحباها إلى طبيبة أمراض نساء لتوقيع الكشف الطبي عليها وبذلك يقطع الشك باليقين وخافت من افتضاح أمرها ، فتوسلت إلى الطبيبة وأنكرت الحقيقة ، وفعلاً تعاطفت معها الطبيبة وأنكرت وأخفت الحقيقة عن شقيقتها ..

وسـاور الشـك قلب خالتها وسألتها واستدرجتها ووعدتها بأن تكـتم سـرها واعترفت لها بما حدث ، ولكنها خافت أن تغدر بها وتفضـح أمرها فهربت وتركت منزل أسرتها ، فلم تجد أمامها حلا لمشـكلتها إلا ترك منزل أسرتها والهروب إلى مكان لا يعرفها فيه أحد ..

وكانت في شهرها السادس ، فكرت في الذهاب إلى الإسكندرية

حـــتى تضمن أنه لن يتعرف عليها أحد ، وذهبت إلى محطة السكك الحديديـــة تســـأل عن ميعاد القطار الذي سيتوجه إلى الإسكندرية ، وكان يبـــدوعليها الارتباك والحيرة ، فلم تكن قد تركت المنزل قبل هـــذه المرة ، ورأى من سألته الدموع في عينيها فعلم أن في الأمر ســـراً .. وكـــان فـــي حوالي الخمسين من عمره أقنعها أنه سوف يصـــطحبها إلى أسرته في طنطا ، وسوف تقيم معهم فوالدته سيدة مســـنة طيـــبة وتعمل خيرا كثيراً .. ولكنه غرر بها وذهب بها إلى أحـــد الفـــنادق في طنطا بعد أن اشترى لها بعض الفواكه والطعام ووعدها أنه سوف يذهب بها في الصباح إلى أسرته وينفذ ما وعدها به .. وأحست أنه يراوغها، وخافت أن يهرب منها دون سابق إنذار ويطالـــبها صـــاحب الفندق بالأجر ثم يسلمها للشرطة ، هربت منه وذهبت إلى موقف السيارات بطنطا وهناك تعرفت على بائعة خبز كانـــت تعرفها أثناء وجودها بالقاهرة ، فقد كانت هذه السيدة تعمل بائعة خبز بالقاهرة أيضاً ، وفي موقف السيارات التي كانت تركبها وهـــي ذاهبة إلى عملها لدى طبيب أمراض النساء ، وقصت لها ما حـــدث لها وقالت لها السيدة : أنا سوف أخلصك من هذه المشكلة ، فأنـــا عـــندي قريب يقيم في حجرة بمفرده ويبحث عن زوجة تقوم علـــى خدمـــته ، وسوف يرحب بزواجه منك .. وذهبت معها إلى قريبها وعرضت عليه الأمر ولم يرفض ، وأوهمها أنه سوف يعقد قـــرانها وســـوف ينسب الطفل إليه وفرحت ، وباعت إسورتين من الذهـــب وخاتمـــا ، كانت قد اشترتها من عملها ، ولما أحست أنه يراوغها ولم ينفذ ما وعد به ألحت عليه ولكنه ضربها حتى وقعت على الأرض مغشياً عليها من فرط الإعياء والتعب ، وترك الحجرة

وذهــب إلى غير رجعة وسألها الجيران فقالت لهم: إنه زوجي وقد هرب من الخدمة العسكرية والحكومة تبحث عنه ، وتم القبض عليه وأحيل إلى السجن وسوف أطلب الطلاق منه.

ثــم تعرفت على رجل يعمل بأحد الأفران في القرية التي تقيم بهــا وطلبت منه أن يتزوجها ويعقد قرانها وينسب الطفل المنتظر إلــيه ولم يرفض وأعطاها عشرة جنيهات ، وذهب بها إلى والدته التــي رفضــت هــذه الزيجة ورفض والده وكان مريضاً ومصاباً بالشــلل ، وكانت قد بدأت في شهرها التاسع ، وطلبت منها شقيقة زوجهــا الذي عقد عليها أن تبيع الطفل بعد ولادته لأسرة لم ترزق بأطفــال ، فرفضت .. وجاء ميعاد الوضع ووضعت مولوداً ذكرًا واستخرجت له شهادة ميلاد باسم زوجها الذي سارت معه في التيار فقد كان يحترف السرقة ولم تكن لــه مهنة غيرها .

ولكــن رحمة الله واسعة فقد توفي الطفل وعمرة ستة أشهر بعد إصابته بنزلة معوية حادة ، رحمه الله من حياة التشرد ، وأنقذه من المصــير الأســود والطريق الذي سارت فيه والدته والرجل الذي تزوجته والذي كان يطلب منها أن تسرق كل ما تقع يداها عليه .. ولمــا كانــت تعترض وتقول لــه: إنها تخشى أن يفتضح أمرها ، يشــجعها بقوله: إن زوجته الأولى كان يطلب منها أن تقوم بسرقة كل ما تستطيع سرقته ، ويعطيها نقودا قليلة ويطلب منها أن تذهب للشراء من البقال تشتري شيئاً وتسرق أشياء ..

ودارت الأيــام واشــتاقت إلى أسرتها وفكرت في الأمر وأنها أصــبحت فــي عصمة رجل ، ومعها وثيقة زواج تثبت ذلك فماذا

يطلب منها أهلها أكثر من ذلك ، وعرضت الفكرة على زوجها ولم يمانع واصطحبها لزيارة أحد أشقائها وكانت تشعر بالراحة نحوه ، وكـــان شـــقيقها يقيم في منزل متواضع .. أخذ يتردد عليها وكان يعطـــف عليها ، ويعطيها نقودا في بعض الأحيان ، وكانت تذهب لـــترد لـــــه الزيارة، وكانت تعطي النقود لزوجها الذي ينفقها في شراء المخدرات ، برشام مخدر وحقن ماكس ... ثم أخذ يبيع أثاث المـــنزل المتواضـــع حتى السرير الذي كان ينام عليه قام ببيعه من أجـــل المخدرات ، وكانت توافقه على سلوكه الشاذ فهي لا تختلف عنه في سلوكها ، إنها كانت تخشى أن يفشي سرها ويخبر أسرتها وأنه تزوجها وهي حامل ليتستر على فعلتها .

وذهبـــت لزيارة شقيقها وطلبت منه أن يبحث لها عن عمل لأن زوجها يبيع كل شيء ليشرب به الكحوليات ويشتري المخدرات .. وبحثت هي وزوجها إلى أن حصلت على عمل في مصنع بلاستيك، وذات يـــوم ذهبت لزيارة شقيقها ثم لحق بها زوجها، وأثناء جلوس زوجهـــا مع شقيقها بشقته بمدينة السلام ، رأي في المنزل المقابل لمنزل شقيق زوجته جارتهم تطل من شرفتها ، ولمح في معصمها بعض الأساور الذهبية ، وقد زينت أصابعها بخاتمين ، كما رأى في أذنـــيها قرطاً ذهبيا، عندئذ تحركت بداخله نزعة شيطانية ، وأغراه بـــريق الذهب وطلب من زوجته أن تذهب إليها في شقتها وتسألها عن شقة جديدة ، وتوهمها أن معها تسعة آلاف جنيه، وكان الزوج يراقبها من الشرفة ، وبعد أن تأكد أن زوجها غادر المنزل ألح على زوجته أن تذهب إليها بحجة سؤالها عن شقة، ولم تعترض الزوجة

وذهبت إليها واستقبلتها الجارة وتركت ما كانت تقوم به من إعداد للطعام ثم لحقها الزوج .. دق جرس الباب فتحت الجارة واستدعت الـــزوج للدخـــول ليتحدث معها في حضور زوجته عن مواصفات الشـــقة . وفجـــأة وبدون مقدمات هجم الزوج على الجارة ، وأخذ الســـكين مـــن يدها حيث كانت تقوم بتقطيع الخضار لتجهيز طعام الغداء ، وهوى عليها بضربها ضربات متلاحقة بالسكين . وأصابها المـــنظر بالغثـــيان والقيء فتركت الشقة وخرجت بسرعة إلى شقة شـــقيقها ، ومضـــى وقت ليس بالقليل وجاء الزوج إلى شقة شقيق زوجـــته ، وهـــو يلهث غارقاً في الدماء التي لطخت ثيابه ويديه ، وصرخت في وجهه ، أخذ يهددها إذا ما أفشت السر أنه سوف يقوم بقـــتلها . أعطاهـــا الدبلة الذهبية والقرط وطلب منها أن تذهب إلى والديـــه وســـوف يذهب هو إلى مدينة السويس ليهرب من الشرطة ويقـــوم ببـــيع الذهـــب وينفق على نفسه من ثمنه .. وحضر أبناء المجنـــي علـــيها إلـــى المـــنزل فقـــد كانوا يتلقون بعض الدروس الخصوصية .. وجدوا التلفزيون مفتوحاً ووجدوا والدتهم غارقة في الدمـــاء ، ظلـــت تزحف حتى وصلت خلف باب الشقة فلم تكن قد فارقـــت الحياة بعـــد .. وأبلغ أبناء المجني عليها الشرطة بالحادث واســـتدعى الجيران واعترف شقيق النزيلة على شقيقته وزوجها ، وتعرضـــت شـــقيقته لتعذيب الشرطة واعترفت على زوجها وعلى نفســـها بعد أن استدعتها الشرطة من منزل أسرة زوجها ، وأرشد شـــقيق الـــزوجة الشرطة على مكان زوج شقيقته ، وأنه ذهب إلى مديـــنة الســـويس وعثرت عليه الشرطة واستولت على ما معه من ذهـــب وســـألتها الشرطة عن باقي الذهب فأنكرت ، ولما عرضت

علـــيها الشرطة الأساور الذهبية وطلب منها ضرورة إحضار باقي المســـروقات لم تجد بداً من الاعتراف وأيقنت أن الشرطة عثـــرت علـــى زوجها وأن الدليل هو الذهب واعترفت بما حدث وأحضرت الذهـــب الموجود معها ، وحاول الزوج أن ينفي التهمة عن زوجته حـــتى لا تدخـــل الســـجن وتحضر لزيارته طوال سجنه ، رفضت والدته وقالت لـــه: لابد أن تشركها معك حتى يخفف عنك الحكم ، ووعدتهـــا بـــأن تواظـــب على زيارتها ولن تتركها ، وأنها سوف تحضر لها كل متطلباتها داخل السجن ، ولكنها لم تف بوعودها ولم تحضر لزيارتها مرة واحدة .

أمـــا الـــزوج فقد نفـــذ فيه حكم الإعدام ، خاصة وأن المجني عليها قد توفيت .

لقـــد بدأت حياتها بالخطيئة ، وسارت وزوجها في تيار الرذيلة بســـبب فعلـــتها الشـــنعاء ، فلـــم تحافظ على شرفها وعفتها ، مما اضطرها أن تعالج الخطأ بخطأ أكبر منه ، وأخذت تتنقل من رجل إلـــى رجل ، بل من لص منحرف إلى مدمن مخدرات كل ما يهمه أن يحصل على المال ، لا يهمه الوسيلة ولكن غايته جمع المال من أي مصدر ، لا يعرف الحرام ولا الحلال ، وكانت هذه هي النهاية الطبيعـــية لحـــياة السكر والعربدة ، حكم عليه بالإعدام وحكم عليها بالأشغال الشاقة المؤبدة .

*****

هـــي من إحدى قرى محافظة القليوبية ، في الثامنة والعشرين مـــن عمـــرها ، لـــم تتلق أي تعليم ، ولم يمنحها الله أي قسط من الجمال.

كانـــت تعمـــل بالزراعة في قطعة أرض يمتلكها والدها ، لها خمسة إخوة ذكور وإناث ، هي كبرى إخوتها .. توفى عمها وترك ابنـــته الوحيدة ، فكفلها عمها ، وتعهدها بالرعاية بعد وفاة شقيقه ، وكانـــت فـــي العاشرة من عمرها ، هادئة الطباع ، دمثة الخلق ، جمـــيلة المنظر ، بهية الطلعة ، وكان حزنها الصامت على والديها يـــزيدها جمـــالا وتبدو رغم صغر سنها متزنة عاقلة ، مرت الأيام وكـــبرت ابنة العم وترعرعت في منزل عمها ، وشبت الغيرة في قلـــب ابنـــة عمها – صاحبتها- كلما نظـــرت إليها ورأت رقتـــها وجمالهـــا..

وتقـــــول: إننـــي لا أنكر أنني كنت أحقد عليها وأغار منها ، فـــأرى مـــن ســـوء حظي وقدري أن يتوفى عمي وتأتي لتشاركني العـــيش في منزل واحد ، بل مما زاد الطين بلة أنه كلما دق على منزلنا شاب علمت بعد ذلك أنه جاء لخطبتها ، وكانت أمي تشتري لـــي كـــل مـــا تحتاجه العروس حتى ما إذا حضر العريس أكون

جاهـــزة .. طـــال انـــتظاري ولم يتقدم لطلب يدي رجل واحد ، فأرجعـــت ســـبب إحجام العرسان عني هو وجودها معي في منزل واحـــد ، وأعمـــى الحقد والحسد بصيرتي واشتعلت نار الغيرة في قلبـــي ، وبحت لأمي بما في صدري وأن الشبان يفضلونها عنى ، ووافقتني أمي على هذا الإحساس .

دخل والدي المنزل ونادى والدتي وأخبرها أن أحد الشباب من أبـــناء جيراننا في الحقل سوف يحضر وأسرته لتقديم الشبكة لابنة عمـــى ، نظرت إليّ والدتي نظرة كلها شفقة وحسرة ، ونظرت أنا إلـــيها والغـــــل والحقـــد يملأ قلبي ، ولم أذق للنوم طعما في هذه اللـــيلة ، ولم يغمض لي جفن ، وظللت أرقبها بنظراتي كلما راحت أو مـــرت أمـــام عينيّ ، ولعبت الأفكار السوداء برأسي فلابد من الخلاص !!.

أتخلص منها ويخلو لي الجو ويتزوجني العريس المنتظر بدلا من ابنة عمي ، وأنا أولى به من الغريبة ، وفي اليوم الموعود وبعد تناول الغداء خرج والدي ليؤدي صلاة العصر ، ثم عاد ومعه لفافة وضـــعها وخرج ، ذهبت لأرى ما بها ففتحتها ، ووجدت بها بعض أكـــياس السكر وزجاجات الشربات وفقدت صوابي ، وكان بالمنزل حجـــرة بهـــا بعض الأدوات الزراعية. دخلتها وناديت عليها بحجة مساعدتي في إحضار بعض المعدات التي يحتاجها والدي للزراعة غـــدا ، ودخلت الحجرة وبكل قسوة وبلا رحمة مددت يدي وأخذت الفأس وهويت بها على رأسها ، سقطت على الأرض في بركة من الدماء ، وسمعت أمي صراخها وحضرت مسرعة ، ورأت المنظر

وأجهزت عليها وتركناها وحولها بركة من الدماء .. وحضر والدي ليتوضأ ويخرج ليصلي المغرب ، رآني مرتبكة لا أستطيع التركيز في الحديث ، وسألني عن أمي وذهب نحو الحجرة ووجد ابنة أخيه عائمة في بحر من الدماء ، وضرب بكفيه على صدره ، ولطم خديه وجرى مسرعا نحو باب المنزل ، وأخذ يجري في الشارع كالمجنون يتمتم بكلمات سمعها بعض المارة المتوجهين لأداء الصلاة ولكن كانت كلمات غير مفهومة ، ولم يتطرق لذهن أحد ما حدث إلا عندما غاب والدي ولم يظهر ، فقد خرج بغير رجعة ولم تظهر العروس كعادتها وتساءل الجيران بالتصريح والتلميح عنها ، وعن سبب غياب والدي وخاصة العريس وأهله وما كان منهم إلا أن أبلغوا الشرطة التى هاجمت المنزل ووجدتها في الحجرة بعد أن واريـنا الجثة بالتراب والطين ، وأخذ أهالي القرية يقذفون أمي بالحجارة ويضربونها حتى فارقت الحياة وحكم عليّ بالأشغال الشاقة المؤبدة .

مرت الأيام وقضيت فترة عقوبتي وخرجت من السجن وعدت إلى الله أطلب التوبة وأدعو ليل نهار أن يغفر ذنبي .. ونصحني رجال الدين بالاستغفار وبالصلاة والصوم وذهبت وأديت فريضة الحج أكثر من مرة ، وأطمع أن يغفر الله ذنبي ويعفو عني فهو الغفور الرحيم .

*****

هـــي من إحدى قرى المنوفية ، في العشرين من عمرها ، من أســـرة رقـــيقة الحال .. يعمل والدها بمصنع للطوب ، ولها ثلاثة أشقاء ذكور وأنثى غيرها .. تزوج والدها من زوجة أخرى وأنجب مـــنها ثلاثـــة أبناء .. وكانت الزوجة تعيش مستقلة وتعمل باليومية لتـــنفق على نفسها وأولادها .. تزوجت وهي في السابعة عشر من عمرها من رجل متطوع في الجيش ، طلقت منه بعد زواجها بثلاثة أشـــهر لأنها رفضت الحياة مع والدة طليقها في منزل واحد ، كما رفضـــت خدمتها فكرهها زوجها ودبت الخلافات بينهما ، وانتهت بـــالطلاق ، ونظـــراً لأنهـــا هوائية وثرثارة وسهلة الإيحاء طلقها زوجهـــا، ولكـــنها كانت تعتقد أن والدة زوجها هي سبب طلاقها ، وأنهـــا عملت لها عملا لدى أحد الدجالين حتى تكره المنزل وتذهب لأســـرتها ، وظلت أربع سنوات تعمل في أحد المصانع ثم تزوجت من رجل في الأربعين من عمره ، معه رخصة قيادة ولكنه لا يعمل بهـــا ، ويضن عليها في الإنفاق ، ويأخذ منها ما تتقاضاه من نقود، وإذا ما رفضت يعتدي عليها بالضرب والسب ، وكانت تتحمل سوء

سـلوكه مـن أجل أبنائها ، بعد أن أصبحت أما لاثنين من الأطفال وكانت ابنة جارتها البالغة من العمر تسع سنوات تحضر إلى شقتها وتلعب مع ابنتها ..

وذات يوم طلب زوجها منها أن تسرق القرط من أذن الطفلة ، ولكنها رفضت نظراً لأن جارتها كانت تعطف عليها وتقوم بحياكة الملابـس لهـا بـدون مقـابل ، وأثناء ذهابها إلى السوق لتشتري متطلبات منزلها دخلت ابنة جارتها لتلعب مع ابنتها، ورأى زوجها أن الطفلـة فـي أذنيها قرطا ذهبيا .. ولما عادت من السوق طلب زوجهـا مـنها أن تسرق القرط من أذن الطفلة ، ولكنها رفضت ، وفـي اليوم التالي دخلت الطفلة كعادتها فاستدرجها الزوج إلىغرفة الـنوم وانقـض عليها كالوحش الكاسر بدون شفقة أو رحمة. قطع عـرقا من رقبتها وتركها حتى فارقت الحياة ، ثم قام بلفها بجلباب ووضـعها ومعهـا السـكين التى استعملها في ارتكاب جريمته في كرتونة وطلب من زوجته كتمان السر ، وهددها بأن يفعل بها مثل ما فعل بالطفلة ، وما عليها إلا أن تعاونه في إخفاء الجثة ، ذكرت أن زوجهـا منحرف وأنه كان يتعاطى المخدرات وقد سبق له قتل ابن جاره بسبب ١٥٠جنيها مائة وخمسين جنيها ..

كان والد الطفل قد أخذ منه المبلغ ليشتري لـه بعض الملابس مـن بورسعيد حيث كان يعمل بتجارة الملابس ، ولما لم يشتر لـه الملابـس أو يعطيه المبلغ قام بقتل ابنه الطفل .. أما بالنسبة للطفلة

التي قام بقتلها فقد حمل الجثة وذهب مع زوجته إلى إسطبل مهجور بجوار المنزل وقاما بوضع الجثة في طوالة في المكان الذي يوضع بـــه علـــف المواشـــي ، وهو يشبه الحوض ، ثم قاما بإلقاء بعض القمامـــة الموجودة في الإسطبل فوق الجثة حتى لا يراها أحد ، ثم ترك الزوج البلدة وسافر إلى بورسعيد وترك الزوجة والأبناء دون أن يـــنفق علـــيهم أو يـــترك لهم أي مبلغ من المال .. مما اضطر الـــزوجة إلـــى السفر لبورسعيد ليعطيها نقودا حتى تستطيع الإنفاق على أبنائها، ولكنه تشاجر معها ورفض وضربها ضرباً مبرحاً مما آثار حقدها وغضبها عليه وعادت إلى منزلها محملة لـــه بالكراهية والغل ، وحضرت جارتها ورأت الحزن يبدو عليها والحسرة تملأ قلبها وهي حائرة تسأل عن طفلتها وأخذتها الشفقة عليها وقالت لها: اذهبي وابحثي عنها في الإسطبل ، وذهبت الأم وأخذت تبحث عن ابنـــتها تحت أكوام القمامة بالإسطبل ثم عادت إلى جارتها تخبرها أنهـــا لـــم تعـــثر عليها .. ولكنها قالت لها: تعالي معي نبحث معًا، وذهبـــت معهـــا وبحثت في طوالة الإسطبل وقالت لها: أنا عنـــدي إحســـاس أنها هنا في الطوالة ، وفعلا عثرت على الجثة وأسرعت الأم وهي تصرخ وتلطم خديها متوجهة إلى قسم الشرطة ، وأبلغت عـــن الحـــادث وبعد استجواب الأم واعترافها بأن جارتها هي التي أرشـــدتها عـــن مكان الجثة وصممت أنها بالإسطبل ، ساور الشك المحقـــق وأخـــذ يســـتدرجها حتى اعترفت بالحادثة ، وحكم عليها بالإعدام لأنها اعترفت على نفسها ، وأنكر الزوج اعترافه بارتكاب

الجريمة ثم خفف الحكم إلى مؤبد .. وتزوج الزوج من أخرى ولم يحضـــر لزيارتها ولو لمرة واحدة .. ويعلم الله إذا كانت هي القاتلة أو المتســـترة علـــى مـــا ارتكبه زوجها من جرائم فقد نالت جزاء انحـــرافها وتسترها على زوج منحرف يسرق ويتعاطى المخدرات ويقـــتل ليحصـــل علـــى المال ولو القليل منه ، وقد أخبرها بعض الجـــيران أنـــه هرب وسافر إلى إحدى الدول العربية بعد أن اتبع الهوى فضل عن سبيل الله .

وإذا كـــان قـــد استطاع أن يهرب من عدالة الدنيا فأين وكيف سيهرب من أعدل العادلين يوم الحساب ؟ .. فلم تكن الزوجة أحسن خلقـــا مـــن زوجها بل كانت تتستر على جرائمه ، وتعلل ذلك بأنها كانـــت تخـــاف من بطشه وسوء سلوكه ، فهو يتعاطى المخدرات ويضـــرب ويقـــتل ويهددها بالقتل إذا ما أفشت سره ، فلا خير في أحدهما فهو قاتل منحرف وهي فرع أعوج .

المرأة اللعوب

تزوجـــتُ ولـــم تكـــن هذه الزيجة بمحض اختياري ، بل لم أر زوجـــي إلا ليلة الزفاف، تقدم لخطبتي وشاع الخبر بين أبوي ، ثم تحول الخبر إلى حقيقة غيرت مجرى حياتي . أنا فتاة مسالمة ليس لـــي خـــبرة بالحياة ، ملمة بالقراءة والكتابة ، أبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً ، أعتبر بيت أسرتي هو دنياي ، لم أر وجه زوجي من قبل ، انتهت مراسم الزفاف وانصرف المدعوون وانقضى كل شيء ولـــم يبق إلا أنا وهو ، أخذت أتطلع في وجه الرجل الذي سأقضي معـــه باقي حياتي . شعرت بالحزن وخيبة الأمل وتملكني الأسى ، فلـــم يكن هذا الفتى هو من أحلم به وأرسم لـــه صورة في خيالي، وتمنيت أن أعود إلى بيت أسرتي وخوفاً من القيل والقال استسلمت لمصيري الأسود وبدأت حياتي الزوجية بالفتور والكراهية ، وعلى الـــرغم مـــن مرور سنين طويلة ظلت ذكريات هذا اليوم عالقة في ذهنـــي ، وعلمتنـــي الأيـــام أن أستسلم لقدري حتى وإن كنت غير

راضـــية . وكـــان بداخلـــي ثورة من الرفض والتمرد لهذه العلاقة الزوجية ولم أكن أشعر بالراحة إلا عندما يترك الشقة ويذهب للعمل أو لـــزيارة أقاربـــه وأصدقائه ، وعندما يعود أشعر أنني في سجن وأنـــه هو السجان ، وعندما جاء مولودنا الأول فرحت به وشعرت أنه سوف يخفف آلامي ويؤنس وحدتي ، ومن سوء حظي أن الطفل بـــدأ يأخذ ملامح أبيه وأصبحت أرى أمامي وجه زوجي الصغير ، ولكن ماذا أفعل غير الاستسلام لحظي وقدري .. وزادت كراهيتي لزوجي يوماً بعد يوم ، وكنت أعامله معاملة سيئة كلها فتور ، ومما كـــان يزيد من أسفي أنه كان يقابلها بابتسامة بلهاء ، فأزداد نفوراً مـــنه ، وبالـــرغم من ذلك أصبحت أماً لخمسة أبناء لم أشعر خلال هـــذه السنوات الطويلة بأي عاطفة حب نحوه ، بل كانت كراهيتي تزداد يوماً بعد يوم .

وذات يـــوم دخل زوجي ومعه رجل غريب وسيم مشرق الوجه جميل المنظر ، وظللت أنظر إليه حتى أحسست بنبضات قلبي تعلو بداخلـــي ، وذهب زوجي وصديقه إلى حجرة الاستقبال وذهبت أنا إلـــى الحجـــرة المجاورة ، وأخذت أسترق السمع لصوت الضيف وتمنيـــت لو استدعاني زوجي للتعرف عليه ، ولكن سمعت زوجي يودعـــه ويغلـــق بـــاب الشقة ، بعد فترة ولم أستطع أن أتحكم في مشاعري وسألته من هذا الضيف ؟ ، قال: إنه زميل لي في العمل ولـــم أحـــاوره كثـــيراً حتى لا يشك في أمري ويسيء الظن بي ، وذهبـــت إلى المطبخ وأعددت الطعام له ولأولادي ، وقد بدت علي

الفـــرحة والســـعادة ولاحـــظ زوجي أنني سعيدة ومبتهجه وسألني زوجي عن سبب سعادتي ، فقلت لـــه: هل حرام أن أكون سعيدة !! وأخذت ألاطفه وأدلّله بكلمات رقيقـــة على غير العادة وأقول لـــه: "ربنا يجعل أيامنا كلها سعادة " ، وبيني وبين نفسي أمهد للحديث مع زوجـــي لتزداد معلوماتي عن صديقه ، فقلت لـــه: إني لم أرك منذ زواجنا تصادق أحداً وتحضره لزيارتنا في المنزل . فقال من خلال ابتسامة ساذجة: أنا لي عدد كبير من الأصدقاء ، فقلت لـــه: ولكن لـــم أر أحـــداً منهم ، فقال بعد أن أشعل سيجارته: أنا لم أتعود أن أحضر زملائي إلى المنزل حتى لا أضايقك ، فابتسمت وقلت لـــه: أتغار علي؟! فقال: طبعاً أنت زوجتي وأم أولادي ، فقلت له بدلال: فقـــط ؟ .. قال ، وحبيبتي .. جلست بجواره أتحدث معه أحاول أن أنـــتزع منه سر هذا الصديق الذي سلب عقلي وحرك مشاعري .. قال لي زوجي: ألم تتضايقي من حضوره؟.. قلت لـــه: لا ، أرجو أن تحضـــره مـــرة أخرى .. فقال: أخاف أن يغضبك حضوره .. فقلـــت لـــه: على العكس سوف أكون سعيدة لأنك سوف تكون معنا بالمنزل بدلاً من سهرك بالخارج .. فقال: اتفقنا .. ولا أستطيع أن أصـــف مقدار سعادتي وفرحتي، وأخذت أرتب لحضور هذا الزائر الجديد الذي أدخل السرور على نفسي بقدومه إلينا .. وفي الصباح اســـتيقظت وكلـــي نشاط وكأنني عروس سوف تزف إلى حبيبها . وأخـــذت أتزين بحذر وفرح بعد أن انتهيت من تنظيف الشقة ، إلى أن جـــاء موعـــد حضوره وسمعت طرقاً على الباب وتعجبت من

نفسي كيف كانت تلك الطرقات تخيفني وتقتلني ثم تحولت إلى أنغام يطـرب لهـا قلبـي؟!! .. وفتحت الباب بفرح ولهفة ونظرت إليه وتلاقت أعيننا ولا أدري ماذا حدث لي وأنا شاردة الذهن لم أفق إلا على قول زوجي إنه (س) صديقي .. ، فنظرت إليه وصافحته وأنا أتصنع الحياء ، ثم انصرفت إلى غرفتي وحاولت إخفاء مشاعري ، ونظـر إلـيّ زوجـي وسألني ماذا ألم بك قلت لـه: بعض التعب والإرهـاق ، فقـال لي: اذهبي ونامي سوف تستريحين من التعب فقلـت لـه: لا ، سوف أقدم لكم واجب الضيافة ، ولا أنكر أنني كنت أشعر براحة نفسية كلما نظرت إلى وجه صديق زوجي الذي أصـبح قريـباً إلى نفسي، وبعد مضي وقت طلب مني زوجي أن أحضـر لأصـافحه قبل أن يخرج ويترك المنزل ، فقلت لـه: أنا مكسـوفة ، قال لي: ألم تقولي إنه مثل أخيك ؟!! .. فقلت لـه: نعم إنه إنسان غاية في الخلق فاذهب أنت وسوف أتبعك ، أصلحت من شأني وكأني فتاة في سن المراهقة تواجه موقفاً عاطفياً جديداً عليها. وتماسـكت لكي لا أضيع هذه اللحظة التي طالما انتظرتها وطالما أعـددت نفسي لها ، وعندما اقتربت منه وقف أمامي يصافحني ، وقلـت لـه: تشـرفنا وجلسـت وكل جسدي ينتفض ، وسعدت بالـنظرات المختلسـة الـذي أخذ ينظر إليَّ بها .. ومضى الوقت كالـبرق ، ثـم صـافحنا وانصرف . منذ هذا اليوم تغيرت حياتي وتمـردت على زوجي ، بل على أولادي وحياتي كلها .. وقررت أن أعـوض مـا ضـاع من عمري في هذا السجن .. ومع هـذا

السجان .. تعود صديق زوجي أن يحضر كثيراً لزيارتنا وأشاركهم مجلسهم ، وكنا نتحدث كلمات قليلة لا تتعدى المجاملة ، ولكن أعيننا كانت تفصح عن الكثير، أصبحت أرى زوجي عزولاً وعدواً يجلس بيننا ، ويحول بيني وبينه ، وأخذت الأفكار السوداء تتوافد على برأسي ، كيف أنفرد به بعيداً عن زوجي؟ وجلست على السرير لا أفكر في أولادي ولا في بيتي بل كل ما يدور برأسي أن أهتدي إلى طريقة أصل بها إليه .. وتوصلت إلى فكرة وهي أن أكتب إليه ورقة أشرح له فيها حبي وعذابي ، وأحدد له موعداً ومكاناً يجمعنا.. وكتبت له الرسالة وأخفيتها في مكان أمين ، وعندما حضر لزيارتنا وضعتها في صدري لأعطيها له .. حضر إلينا مع زوجي وأسرعت لمشاركتهم جلستهم وانتهزت فرصة لأعطيه الرسالة وذهب زوجي إلى دورة المياه ، وأخرجت الورقة في خلسة وأعطيتها له ثم عاد زوجي وتصنعت الإرهاق وغادرت المكان وعقلي يدور .. ماذا يحدث لو كان صديق زوجي وفياً له وأعطاه الورقة ، إنه بذلك سوف يدمر المنزل .. وفي الحالة الأخرى إذا أخذ الورقة ومزقها فلم يحضر إلينا مرة أخرى.. وأمضيت ساعات طويلة من الخوف والألم والشك في تصرفاتي .. انصرف زوجي إلى عمله وارتديت ملابسي بسرعة فقد حان موعد اللقاء الذي اتفقنا عليه في الرسالة ، ذهبت إليه ووجدته في انتظاري،صافحته وأحسست بانتعاشة شديدة تنعش كل جسدي ، وذهبنا إلى أحد الكازينوهات ، وجلسنا في مكان هادئ جميل ،

ونظـــر إليَّ وقال لي: أين كنت من زمان لقد كنت أبحث عنك في كل الدنيا ، هل تصدقينني عندما أقول لك: إنني عندما رأيتك لأول مـــرة كـــدت أصرخ من فرحتي ، فأنت الحلم الذي يراودني طول حياتـــي، فأنت الوجه الذي أبحث عنه ، أنت الإنسانة التي أتمنى أن أعيش معها طوال حياتي.. ومنذ ذلك الوقت تحولت حياتي وعرفت الحب الصادق والضحك من الأعماق وأحببت كل شيء في الدنيا ، وجـــرت بـــنا الأيام ، جرت بنا الأيام في سعادة غامرة وأصبح في حكـــم زوجي بل أصبحت أرى أنه أحق بي من زوجي .. وأحس زوجـــي بالإهمال والفتور من ناحيتي وتحولي منه ، فأخذ يلاحقني بأسئلته ونظراته المليئة بالشك والريبة . أخذت أقابله خارج المنزل وتكـــررت اللقاءات والمقابلات أثناء وجود زوجي بالعمل ، وكان يتخلف كثيراً عن الذهاب إلى عمله وأصيب بالضيق بسبب ما لحقه من ضرر في عمله لغيابه وإهماله ، وقال لي: إن زوجي كثيراً ما ينظر إليه بريبه وشك ويسخر منه ، فسألته هل يشك فينا ؟.. فقال: يبدو ذلك . إذن لابد أن نكف عن المقابلة بعض الوقت .

أفقدتنـــي هذه الكلمات شعوري فكيف أتخلى عنه وأصبر على بعـــده عنى؟ .. وعدت إلى المنزل وأنا حزينة وسألني زوجي ماذا أصـــابك؟ أكنـــت فـــي معركة؟ صرخت في وجهه وطلبت منه أن يطلقنـــي!! .. وتطايـــر الشر من عينيه ورفع يده وهوى بها على وجهي ، وصرخت وهجمت عليه وأخذ يضربني ويتهمني بالفجور، ويوجـــه إليَّ السباب وأخذت أبكي بكاءً مراً ، وسيطرت عليّ فكرة

قـــتله ، وأخذ الشيطان يوسوس لى أن أتخلص منه لأزيح الكابوس مـــن فـــوق صدري ، فكـــرت أن أضع لـــه المخدر في الطعام ثم أكتم أنفاسه وأتخلص من جثته وألقيها في جهات متفرقة في كومات القمامـــة.. مضـــى علـــيّ الليل ساهرة أفكر .. قررت قتله أولاً ثم يجـــيء دور الـــتخلص مـــن الجثة ، وانقضى الليل وجاء الصباح وجهزت لـــه الطعام والشاي ووضعت له المخدر ، وجسدي يرتعد خوفـــاً من أن يعرف ما أدبره لـــه وأخذ يشرب الشاي ببطء ووقع جســـده علـــى الأرض ، أسرعت كالمجنونة وأحضرت قطعة من القمـــاش ووضعتها حول عنقه وأخذت أضغط عليه بقوة وشدة حتى فـــارق الحياة ، ثم دفعته بيدي تحت السرير وكأنني في عالم آخر ، خرجـــت مـــن الغـــرفة وأغلقتها عليه وكأن شيئا لم يحدث حتى لا تساور الشكوك أولادي الذين تناولوا الطعام والشاي وغادروا الشقة الواحـــد تلـــو الآخر ، وأصبحت وحيدة مع الجثة فتملكني الخوف وارتعشـــت كل أطرافي ونظرت إلى السماء وارتعش كل جسدي ، وأحسست أن الله بعيد عني ، فأجهشت بالبكاء وأنا أنظر إلى السماء ولأول مـــرة منذ أن دبرت لارتكاب جريمتي أشعر بالندم والذنب ، ثم فكرت هل يقبل حبيبي أن يتزوج من قاتلة ؟ .. لماذا لا يقبل وقد قتلت زوجي من أجله؟ سوف أبلغ عن غياب زوجي وأطلب الطلاق ونـــتزوج ونعيش بعيداً . نعيش حياة كلها سعادة وحب ، أثناء ذلك ســـمعت جرس الباب يدق وتماسكت وأنا أتساءل من سوف يحضر إلينا ونحن في هذا الوقت المتأخر من الليل ، مسحت وجهي وجففت

دموعـــي وفتحـــت الباب رأيت أمامي شقيقة زوجي ، نظرت إليَّ وقالـــت لي: ماذا بك هل أنت مريضة ؟ قلت لها: نعم .. منذ عدة أيـــام سألتني عن شقيقها ، ارتعشت أهدابي ولكنني تمالكت حتى لا يفتضـــح أمـــري وقلت لها: ذهب إلى العمل ، أشحت بوجهي بعيداً عنها وقلت: بل ذهب إلى القاهرة ليزور السيدة زينب والحسين إنها المـــرة الأولـــى التـــي يغادر فيها السويس .. ودخلت غرفة النوم وجلســـت علـــى السرير الذي أخفي جثة شقيقها أسفله وجلست ما يقـــرب مـــن ســـاعة وأنا أجهز الطعام ولا أستطيع أن أصف مدى خوفي ورعبي عندما جلست على السرير ، وأنا أفكر ماذا لو سقط مـــنها شيء على الأرض وقامت بإحضاره ورأت جثة شقيقها ماذا أفعـــل . ثـــم تناولت الطعام وانصرفت إلى حال سبيلها وبعد ذلك أخـــذت أعـــــد العـــدة للتخلص من آثار الجريمة ، دخلت المطبخ وأحضـــرت سكينة كبيرة أغلقت غرفة نومي بعد أن انتظرت حتى نام أولادي جميعاً وأخذت أقطع الجثة وأضعها في أكياس بلاستيك ، وأخـــذت عدداً من الأكياس وألقيت به في صناديق القمامة ثم عدت إلى المنزل ، وقررت أن ألقي بباقي الأكياس في مساء اليوم التالي ولم أعد أشعر بالخوف فسوف أزيح كابوس السنين عن صدري بعد أن أبلغ عن غياب زوجي وأقول إنه ذهب إلى القاهرة لزيارة أولياء الله الصـــالحين ، ولـــم يحضر .. ثم أطلب الطلاق وأتزوج .. أخذ فكـــري يدور ويدور وأفهمت أولادي أن والدهم ذهب إلى القاهرة وظللـــت جالســـة بالردهة حتى منتصف الليل ، وأثناء ذلك سمعت

طــرقاً على الباب من سيحضر في هذه الوقت ؟ .. وعندما فتحت الــباب وجدت حبيبي يقف أمامي ، قلت لــه: زوجي غير موجود ادخــل ، قــال لــي: أيــن ذهب؟ قلت لــه: إلى القاهرة .. سألني والأولاد؟ قلت لــه: إنهم نائمون .. قال: أخشى أن يحضر زوجك فجــأة .. قلــت لــه: لن يعود أبداً .. وأخذته من يده ودخلت معه حجــرة الــنوم وقلت لــه: انظر تحت السرير فهب مذعوراً عندما رأى الأكياس وبها الجثة فقال بصوت مرتفع معقول؟! إنك مجنونة فاجــرة قاتلة وسأبلغ الشرطة عنك .. أحسست بالرعب وأصابتني حالة من الهستريا وشل تفكيري وأنا أدور داخل الغرفة .. هرعت إلى غرفة أولادي أيقظتهم من النوم ورجوتهم ترك المنزل ثم دخلت المطــبخ، أحضــرت صفيحة من الكيروسين وسكبتها داخل الغرفة وأشعلت فيها النيران . أنا مذهولة كالمجنونة لا أعي شيئا وسمعت أقداما كثيرة تسير في الشقة وقد داهمت الشرطة المنزل ، ووضعوا القيود في يدي وتمت إحالتي إلى القضاء وحكم عليَّ بالإعدام شنقاً .

بالله هل تبني البيوت وتستقيم وترتفع أعمدتها ويخرج منها ذرية صــالحة من هذا الاعوجاج ؟ وهل تربى أم كهذه وأب يترك الحبل على الغارب لزوجته وهي بهذه الأخلاق هل تربي أبناء صالحين ؟ أي أم كهذه التي هدمت المنزل وأطاحت بالقيم والأخلاق وضربت بكــل شــيء عــرض الحائط إلا شهواتها وملذاتها ؟ !! وأين رب الأسرة من كل هذا ؟ .. الأب الحاضر الغائب ، وهل نلوم الأولاد إذا انحــرفوا ،بــل مــاذا ننتظر من طفــل نشــأ بين أبوين بهذا

الاستهتار؟!! وهل نلوم الأطفال إذا ضلوا الطريق وانحرفوا ؟ لا ، بل إذا رأينا طفلا فاسـدا فلا نلوم إلا أنفسنا .

مـا ذنـب هـؤلاء يتحملون وزر الآباء يطاردهم المجتمع ويلاحقهم الاكتئاب . وهل يكفي الإعدام للزوجة القاتلة التي دمرت أسرتها ، وقتلت زوجها ، وشردت أبناءها ، وتركت لهم العار الذي لا يمحى .. وقتلت بيديها النفس التي حرم الله قتلها ؟!

فبـئس المصير لها ولأمثالها ، ولابد للأزواج من صحوة لمثل هـؤلاء الزوجات ، كيف يترك لهن الحبل على الغارب ويدرن دفة المـنزل ويصـبحن مسئولات عـن تنشئة الأبناء ، وكيف يسمح الـرجل أن تلعب امرأة كهذه بعقله وأفكاره وتحركه كيفما تشاء إلى أن تصل بالأسرة كلها إلى هذا المصير ؟.

إنهـــا إرادة الله ، إنـــه قدري فكيف أهرب منه .. لو كان بيدي لعشت حياة سعيدة راضية بما قسمه الله لي ، ولكن الظروف كانت أقوى مني ، حطمتني وجعلتني ناقمة على كل شيء ، ولا أرى من الحياة إلا جانبها السيئ المظلم الذي دمر حياتي وقلبها إلى جحيم .. وأقسم أنني كنت راضية بقضاء الله وقدره ، فكوني أم لخمسة أبناء أفضـــل عـــندي من أن أكون عاقراً ، وعلى أي حال فقد اعتبرت أولادي الخمســـة نعمـــة من نعم الله عليَّ .. فعلى أسوأ الفروض ســـوف أجـــد من يرعاني في الكبر خاصة وقد رزقني الله بالبنين والبـــنات الذيـــن سيحسنون معاملتي أثناء مرضي أو حاجتي إليهم، حـــتى وإن كان الأبناء الخمسة قد حرموا من نعمة السمع والكلام ، فهـــم جمـــيعاً صـــم وبكـــم ، تغيرت المفاهيم في حياتنا ، وانقلبت الأوضاع ، وتبدل كل شيء ، فبدلاً من أن نتعاون أنا وزوجي على تربيتهم ونتكاتف معاً ونسعى لنصل بهم إلى بر الأمان، ونحمد الله علـــى عطائه ، أصبحت الحياة بيننا جحيما لا يطاق ، تباعدت بيننا المســـافات ، ودب الشـــقاق والخلاف والعناد في المنزل ، وانقطع

الحديــث إلا من كلمات كلها شماتة وتجريح وتأنيب ، كان يعترض على إرادة الله وكأن هذه الخلفة هي عار وشماتة ، وكأنني -وحاشا لله- قــد وضعت هذه البذرة الصماء والبكماء في أحشائي ، ونسى أننـــي كــأم تحملــت متاعب الحمل والوضع وسهر الليالي لأطعم الجائع، وأرعى المريض ، وأقوم بجميع أعمال المنزل ،علاوة على خدمــة خمســة أبناء وزوج . ربي ماذا أفعل؟ .. ألهمني الصبر ، وأبعــد عني الشيطان ، هذا الرجل استحالت معه الحياة ، ولا أجد مخرجاً لما أنا فيه .. هذا الرجل الذي حول حياتي وحياة أبنائي إلى جحــيم لا يطــاق علماً بأنه يعمل في أحد المعاهد الدينية ، يستمع يومــياً إلــى كلام الله والأحاديث النبوية ، ويختلط بالعلماء والدعاة ولكــن هــذا قولك لنبيك وحبيبك ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْــدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ولم يرد الله لزوجي الهداية حتى تــنفذ مشــيئة القــدر، وأمضـــي باقي عمري بين الأسوار وخلف القضــبان ، محرومة من الحرية ، يمر عليَّ الليل ساهرة أفكر في حــال مــن تركتهم وهم في أمس الحاجة إليّ ، فهم ذوو احتياجات خاصة ويحتاجون لرعايتي ووجودي بينهم ، خاصة وقد بدأت بناتي يكــبرن ويحتجننـــي في سن المراهقة . ولكن تسلط عليّ الشيطان ووســوس إلــيَّ وضاقت الحياة بي ، واسودت الدنيا في نظري ، وأصــبحت لا أكف عن البكاء وارتسم طابع الحزن على وجهي ، كنت أرى نظرات العطف والتساؤل في أعين أبنائي باستمرار مما كــان يؤلم نفسي ، وتتحجر الدموع في عيني، ويملأ قلبي الغضب ونفسي الحسرة .. ليتني أبكي لتهدأ نفسي وأشعر بالراحة .. ولكن غالباً ما يعز البكاء ولا تجود العين بالدموع ، فالبكاء نعمة من نعم

الله -عــز وجل- يشعرني بعدها بالراحة والسكينة .. فكرت كثيراً في طرد الأفكار السوداء من رأسي .. وسوس الشيطان الذي سيطر علــى عقلي وأخذ يلعب بأفكاري ويلح علي إلحاحاً أن أتخلص من هذا الرجل الذي لا أجد مخرجاً لحياتي معه .. فأين أهرب منه وقد أصــبح مصــدر ألمــي وجرح كرامتي وتأنيبي ؟ .. أعترف أنني أخطــأت ولكــن رغم إرادتي وقد كان الشيطان أقوى مني ضعفت أمامه وضعفت إرادتي ، ودفعني دفعاً للانتقام ، فملأ صدري بالغيظ والغــل نتــيجة لقسوته وسوء معاملته لي، فكرت فيما نهى الله عنه وضــعف إيماني أمام إغراء الشيطان ، راجعت نفسي ، استغفرت ربــي ، واستعذت به من الشيطان ، واستعنت بالصبر والصلاة ، ولكــن يبدو أنه هو الشيطان أراه كل لحظة وأسمع إهانته بالتلميح والتصــريح ، فقدت صوابي وجنّ جنوني، وأصبح المنزل كالجحيم يــنزوي الأبناء كل في مكانه ، نظراتهم حائرة فقد حل الخوف بهم عندما يرونه وهو يسب اليوم الذي جمعنا فيه منزل زوجية واحد .. ماذا أفعل ؟ أأترك المنزل ؟ أين أذهب ؟ ! ليس لي أحد غير الله ، وإن حــدث وتركــت المــنزل فهل هذا يحل المشكلة ؟! لن أكون مطمئنة على وجودهم مع هذا الوحش الكاسر تحت سقف واحد .

ما ذنب هؤلاء الذين يحتاجون إلى رعاية من كافة النواحي ؟ .. لا أســتطيع ذلك ، ولن يطاوعني قلبي فهم فلذة كبدي ، وفي أمس الحاجــة إلى وجودي بجانبهم ، أرعاهم وأقوم على خدمتهم ، وكلما نظرت إليهم أرى الحزن على وجوههم أزداد شفقة عليهم ، وتمسكا بهــم ، وأطرد فكرة تركهم من رأسي . أتركهم .. ألم أساو قطة أو حيواناً يحنو على صغاره ويضحي من أجلهم ؟!

إذن لابد أن أقتلع الشر من جذوره وأقضي عليه فيخلو لي الجو ولا أحـــرم من أبنائي ولا أفارقهم مدى الحياة ، فالموت أهون عليَّ من فراقهم .

لـــم أكـــن أعلـــم أنني سوف أحرم منهم وسوف تكون الأسوار حاجـــزاً قويـــاً يقـــف حـــائلاً بيني وبينهم .. لو كنت فكرت بعقلي وطـــردت الشـــيطان من رأسي ووزنت الأمور كما يجب ميزانها لتجنبـــت ما أنا فيه من حرمان ولهفة وشوق لرؤياهم وضمهم إلى صـــدري .. وتحملـــت أقصـــى أنواع التعذيب والتأنيب والتجريح والإهانات .. فهذا أهون علي من نار الفراق .

وجـــاء اليوم الذي غيَّر مجرى حياتي بعد أن اسودت الدنيا في وجهي وعينيّ دون أن أفكر في عواقب الأمور وضعت له السم في كـــوب الشاي ووضعته أمامه شربه وأخذ يتلوى ويصرخ ويتصبب عـــرقاً ، كنـــت أسمع الصراخ والأنين فلا أنفعل وتحجر قلبي ولم أحـــاول إنقاذه بل انتظرت حتى يسري الدم المسموم في أوصاله ، ويـــتعذر إنقاذه وبعد ذلك ذهبت إلى قسم الشرطة وأبلغت عن نفسي واعترفت بما حدث وانتظرت العقاب بنفس راضية .

والآن أتوجه إلى الله قائلة:

اللهـــم اغفر لي ذنبي واقبل توبتي واحفظ أبنائي فأنت سبحانك خـــير حـــافظ لهـــم وأنت أرحم الراحمين واهدِ أبنائي إلى الإيمان وطاعـــتك وطاعـــة عمهم ليرعاهم وينفق عليهم من معاش والدهم وألهمنـــي الصبر على فراقهم فإن نظراتهم البريئة لا تفارقني وهم يتساءلون لماذا فعلت ذلك يا أمي ؟ ...

نار الأهل ولا جنة الشارع

هي من أحد أحياء القاهرة الشعبية ، من أسرة متوسطة الحال ، عديـــدة الأفراد ، لها ٦ أخوات بنات ، هي الثالثة من حيث الترتيب بينهـــن ، والدها يعمل بإحدى الشركات، رجل طيب مسالم ، سهل الاقتناع .. سلبي الإرادة .. الأم ربة منزل على عكس الأب تماماً.. تقـــول ابنـــتها: إنها كانت عنيفة مسيطرة مستبدة الرأي إلى درجة القسوة ، دائمة الشجار مع زوجها وتتهمه دائماً أنه بطبيعته هذه لا يصـــلح لتربية البنات ، خاصة أن ذريتها كانت إناثا ولم يرزقها الله بابن ذكر ، وقد خلق ذلك جواً من الود والتفاهم بين الابنة وأبيها ، بـــل كانت كثيراً ما تشكو لـــه قسوة أمها ، وكان يوافقها على ذلك ويهـــدئ مـــن روعهـــا ، وكانت آنذاك في الصف الثاني التجاري الـــثانوي ، تقول: إنني عشت محرومة من أي ترفيه من "كيس لب أو بـــاكو لـــبان" فقد كان المصروف في يد الأم ، وهي لا تعترف بذلـــك .. فمـــا دام الأكـــل موجودا في المنزل فما عدا ذلك تعتبره تـــبذيرا ، أخـــذت الابـــنة تتطلع إلى زميلاتها بالمدرسة وخاصة ميســـورات الحـــال، تتمنى لو نشأت في أسرة غنية ، تمردت على

حـــياتها وكرهت عيشتها ، وانعدم التفاهم بينها وبين الأم واتسعت الفجـــوة بينهما ، وتباعدت المسافات مما شجع الابنة على أن تسلك الطريق الذي رسمته لنفسها .

وكانت تبوح بما في صدرها لإحدى زميلاتها ، وتشكو لها من قسوة أمها التي جعلتها تكره الحياة ، وتود لو تركت المنزل وكانت زميلـــتها تســـمع حكايـــتها عن والدتها والخلافات التي تدب يومياً بينهما، وعندما تعود إلى منزلها تحكي ما سمعت من زميلتها لأهلها وأقاربهـــا ، وكان لزميلتها هذه شقيق بنفس المواصفات خارج عن طـــوع الأسرة ، ناقم على الحياة ، لديه طموحات خيالية مجنونة ، فهـــو لا يريد صعود السلم درجة درجة ، بل يرغب أن يقفز حتى يصـــل مسرعاً إلى ما يريد ويحقق ما يشتهي ، ذهب إلى المدرسة وانتظر شقيقته ورآها مقبلة عليه ومعها زميلتها ، وكان يعلم الكثير عـــنها ، وتم التعارف بينهما ، وأخذهما إلى بعض الأماكن العامة ، وطلـــب لهما بعض المشروبات ، وكانت أول مرة تجلس فيها الفتاة فـــي كازيـــنو وتشـــرب ما يحلو لها .. واتفق معها الفتى على أن يدعوهـــا لعشـــاء بعـــد ذلك واستجابت لـــه وتناولت معه العشاء ، تقول: إنني أحسست أنني كنت مدفونة ولعنت الفقر ، ورحبت بمثل هذه الحياة ، وبدأت أتأخر عن مواعيد حضوري إلى المنزل ، وبدأ الخـــلاف يـــدب بينـــي وبين والدتي ، وكنت أتعلل أنني أذاكر مع صديقتي وكان والدي يصدقني دائماً، ولكن والدتي كانت على عكس ذلك تماماً ، وبدأت تضيق عليَّ الخناق وتهددني بعدم الخروج حتى

وإن اضطرتني للبقاء في المنزل وعدم الذهاب إلى المدرسة ، وما كان مني إلا أن أبلغ الفتى بما تنويه والدتي ، وبمنتهى البساطة قال لـــي: لا تشغلي بالك(تاهت ولقيناها) أنا أذهب لخطبتك من أهلك ، فأنا أحببتك من أول نظرة .

وفعـــلاً حضر الفتى إلى المنزل وطلب يدي من والدي وعرفهم بنفســـه أنـــه يعمل بأعمال حرة ، إلى أن يحصل على مؤهله فهو طالـــب بأحد المعاهد المتوسطة ، ويستطيع من عمله الإنفاق عليَّ ، ورفضت أمي رفضاً باتاً بحجة أننا لا نعرف عنه أي شيء ، وأنني لابد أن أحصل أولاً على الدبلوم ، بعد ذلك الزواج .. لم يكن لديَّ أي استعداد لسماع أي نصيحة توجهها لي أمي حتى ولو كانت في صالحي ، فليس بيننا مودة أو تقارب في وجهات النظر ، والمسافة بينـــي وبيـــنها بعيدة ، ومن الصعب أن نتفق على رأي واحد ، بل معاملتها لي وقسوتها عليّ كانت من أهم العوامل التي تدفعني دفعاً لترك المنزل والترحيب بالعيش في أي مكان .

أوهمها أن لديه شقة حصل عليها بمساعدة والده ، وأنه سوف يشتري سيارة ويستطيع أن يحيا حياة كريمة من عمله ، ولن يكونا عالة على أحد ، وعلى قدر تفكيرها وصغر سنها رأت أنه العريس المناســـب ، وأنـــه سوف يحقق أحلامها وأن والدتها دائماً تقف في طريق سعادتها فهي تكرهها ولا تريد لها الخير ، وأن الفتى حضر إلـــى المنزل وطلبها فماذا تريد الأم ؟ ! ولم تستجب لأي توجيه أو

نصيحة وتشاجرت مع أمها وخرجت للمدرسة ولكن طالت غيبتها ، وانتظرت الأم عودتها ولكن طال الغياب .

وذهبت وعقدت قرانها عليه واصطحبها إلى الشقة وعوضها عما افتقدته في منزل أسرتها وشعرت أنها انتقلت إلى حياة أفضل ، واطمأن الفتى بأن خطته قد نجحت وأنها قد تخلت عن أهلها وتخلوا عنها ، وأصبحت لا حول لها ولا قوة ، اعترف لها بأن هذه الشقة شقة مفروشة وما خفي كان أعظم .. واعترف لها بحقيقته وأنه يعمل بالسرقة . فانهارت وصدمت ولكن ماذا تفعل فقد خسرت كل شيء ، ووضعها أمام الأمر الواقع ، واتفق معها أن تعاونه في عمله وأن تكون وسيلته لإغراء الضحية . ماذا تفعل وقد اختارت طريقها ، وخرجت عن طوع أسرتها؟ ! . . انغمست معه في التيار، واستخدمها كوسيلة لصيد فرائسه ، يذهب إلى الأماكن العامة ويتتبع الشبان الذين تظهر عليهم علامات الثراء ويتفق معها أن تذهب وتجلس مقابل الشاب الثري وتحاول إغراءه ، وإذا استجاب لها تتفق معه على الذهاب في أي مكان آخر لا يعرفها فيه أحد ، وتتظاهر أنها سوف تركب معه تاكسي حتى تكون في مأمن من أعين الناس ، وتنادي على سائق التاكسي وتركب معه ، ومعها الضحية ليذهبا إلى كازينو في طريق الهرم ، وغالباً ما يكون الوقت في ساعة متأخرة من الليل . وفي الطريق يفاجئ الفتى بأن سائق التاكسي يجرده من الحلي وهو خاتم ذهب كبير وسوار (انسيال) ذهب وسلسلة وساعة ذهبية ، فهو ابن أحد الصاغة ،

ويـــربط يديـــه بالحـــبال ويقذف به في طريق صحراوي خال من المـــارة، ويعـــود هو وزوجته إلى المنزل ، وعثرت الشرطة على الفـــتى ملقى على الأرض واعترف بما حـــدث لـــه ، وغابت هي وزوجهـــا سائق التاكسي بضعة أيام عن المكان ولما اطمأنا إلى أن أحـــداً لـــم يكتشـــف الجريمة عادت إلى نفس المكان لتصيد فريسة أخرى ، ولكن الفتى والشرطة كانا دائمى التردد على المكان لينتقما منها ، وفعلاً تم القبض عليها واعترفت على زوجها ، وحكم عليها وعلـــيه بالســـجن ١٠ ســـنوات لكل منهما . واعترفت لي بقصتها وحاولـــت مصـــالحتها علـــى أسرتها حتى لا تعود مرة أخرى إلى الشارع ولم تمانع ، وقالت: نار الأهل ولا جنة الشارع .

واتصـــلت بأسرتها التى كانت قد أوهمت الجيران أنها تزوجت وذهبـــت مع زوجها إلى السعودية وأنها لم تنجب أطفالا ، لذا فهي علـــى خلاف مع زوجها باستمرار وأنه يمنعها من الذهاب لزيارة أسرتها عندما يعود مرة كل سنة ، وكان شرط الأم الأساسي لقبولها وإعادتها مرة أخرى إلى الأسرة أن أسلمها وثيقة طلاقها من زوجها الـــذي غـــرر بها وجنى عليها ، وكان زوجها مسجونا بسجن أبي زعـــبل ، وكـــان في هذه الفترة مأمور سجن النساء قد عمل فترة طويلة مأموراً بسجن أبي زعبل ويعرف زوجها واستطعنا إقناعه ، وفعـــلاً قـــام بتطليقها، وأحضرت وثيقة الطلاق وسلمتها لوالدتها ، وصفحت عنها وكانت تحضر لزيارتها باستمرار ، وساعدتها داخل الســـجن حـــتى حصلت على دبلوم الثانوي التجاري ، وأفرج عنها

وســاعدتها فــي الحصول على عمل بالجهود الذاتية بمساعدة أحد الصــحفيين ثــم بمســاعدة المرحوم / أحمد عزت الذي كان يعمل مــتطوعاً بجمعــية رعاية المسجونين ، ولــه مصنع يمتلكه لعمل أكــياس البلاستيك ، عملت بالمصنع وقد استقرت وعادت لأسرتها ومازلــت أتتــبعها حتى اليوم ، وأيقنت تماماً أن نار الأهل أفضل بكثير من جنة الشارع وأن نار الأهل أرحــم بكثير من السجن.

وبــالجهود الذاتــية والتعاون مع الأستاذ على القماش المحرر بجــريدة الشــعب والوفــد استطعنا أن نوفر لها مكان (باكية) في سوق الخضار بمدينة نصر عملت فيه كبائعة أدوات منزلية . شكراً لكل من تعاون معي في إيجاد عمل لمثل هؤلاء .

أما الأستــاذ الفاضل ، المحرر بجريدة المجالس الكويتية حسام الديــن مصطفى فهو دائم التعاون معي حتى الآن وقد التزم بتوفير راتــب شــهري ثابت بالتعاون مع زملائه لأبناء إحــدى النزيلات مســاعدة مــنهم علــى مواصلة تعليمهم وتوفير الملابس والأدوات المدرسية لهم .

جزاهــم الله خيراً عما يفعلون .

*****

كانت هذه العبارة هي الخيط الذى كشف جريمتي ، والذي شهد علـــىَّ الشاهد الوحيد الذي قلتها لـــه قبل ارتكابي للجريمة بساعات قليلة.

هي من إحدى قرى الدقهلية ، شابة في مقتبل العمر ، فقد كانت فـــي العشرين من عمرها ، جميلة ، لم تتلق أي تعليم ، والدها كان يعمل في أحد الكتاتيب التي تقوم بتحفيظ القرآن الكريم ، لها أربعة إخـــوة، هـــي الثانـــية من حيث الترتيب بينهم .. تزوجت وهي في الثامـــنة عشرة من عمرها ، زوَّجها والدها من رجل كفيف البصر يرتـــزق مـــن قراءة القرآن الكريم ، ويمتلك قطعة أرض زراعية جوالـــي ثلاثـــة أفدنـــة، وكـــان ذلك من أهم الأسباب التي شجعت والـــدهـــا علـــى أن يرحب بهذا الزواج . تزوجت وأنجبت طفلها الأول والوحـــيد ، عاشت مع زوجها في شجار وعناد . فقد ملأت الغيرة والشك قلب الزوج وأصبحت الحياة بينهما جحيما لا يطاق ،

إذا دق جـــرس الباب أسرع يتخبط ويصطدم بأثاث المنزل ويسألها مقاطعـــاً عمـــن تتكلم معه، وإذا قالت لـــه إنها جارتي أو شقيقتي يحاول التأكد بطريقة تحرج كرامتي ولا تخلو من الشك .. فيصيبني الحـــرج أمام من أتكلم معه ، وإذا ما عاتبته يقول لي: أنا أفعل هذا لأنـــه حقي .. ولكي يطمئن قلبه كان دائماً يحتاج إلى دليل وبرهان لعفتـــي وإخلاصي لـــه ، حتى سئمت الحياة وأصبحت أتضايق من كـــثرة إلحاحه عليَّ بالأسئلة ، بل وأصبحت أشعر بكراهية عجيبة لـــه جعلتني أكره وأنفر من أي مكان يجمعني به ، واسودت الحياة فـــي نظري ، وأصبحت مستحيلة .. والدي هو السبب في زواجي منه ، بل يري أنه أفضل الأزواج ، رجل متدين يمتلك قطعة أرض ســـوف تقيني وابني ذل السؤال ، وتؤمن مستقبلنا ، فلا نحتاج إلى أحـــد إذا مـــا توفـــاه الله، فالمال والبنون زينة الحياة الدنيا ، فلدينا الأرض الزراعية وهي بقيمتها تساوي المال ، ولدينا الولد .. وكان يتهمنـــي أنني ناشز وعاصية لأبي وزوجي ومتمردة على نعمة الله الـــتي أنعـــم علـــيّ بهـــا ..هذه كانت فلسفته في الحياة ، ولا مكان للعواطـــف والمشـــاعر عـــنده ، بل إن شكوك زوجي وتكذيبه لي باســـتمرار ليست سبباً كافياً أو مبرراً للتذمر أو الانفصال أو طلب الطـــلاق ، بـــل ليست سبباً كافياً للاعتراض على سلوكه نحوي .. أمـــي لا حـــول لها ولا قوة ، وليس لها كلمة ولا رأي ، أبي رَجل البيت وصاحب الكلمة الأولى والأخيرة ، فهو صاحب القرار كعادة أهل الريف خاصة في هذه الفترة من الزمن ..

مـــرت على الأيام ثقيلة كئيبة ، أيام سوداء طويلة مملة ، وذات يـــوم خرج الزوج ليؤدي صلاة المغرب وحضرت إحدى جاراتي

ممن هن في نفس سني ، رأته يسير في الشارع المؤدي إلى الجامع المجـــاور لنا ليؤدي الصلاة ، وكانت شابة مخطوبة وتحب خطيبها وتســـتعد لشراء متطلباتها مما تحتاجه العروس استعداداً للزفاف .. حضرت إليَّ صديقتي منتهزة فرصة عدم وجوده بالمنزل وجلست معـــي تتحدث عن فرحتها بقدوم موعد زفافها ، وتصف لي فستان زفافهـــا ومـــا اشترته من ملابس ، وأثناء حديثها رأت الحزن على وجهـــي والدموع محبوسة في عيني، وقد أجهش صوتي بالبكاء ، حزنـــت على نفسي وما أصبحت فيه، وقلت حتى لو اشتريت أجمل الثياب فلمن ولمن صباي ؟! فزوجي يتساوى عنده القديم والجديد ، والأبـــيض والأســـود ، وحـــتى أنا كوني جميلة أو دميمة ، جارية سوداء أو أميرة ، كل يتساوى ولا يغير من الأمر شيئاً .. فزوجي كفيف البصر ، وأنا لست ملاكاً .

أشارت عليَّ صديقتي أن أتخلص منه وأن أضع حداً لما أعانيه بوضع السم لـــه في الدواء ، فهذه هي الطريقة الوحيدة للخلاص ، تركتني صديقتي قبل أن يحضر زوجي ، ولكنها تركت بداخلي ناراً تشـــتعل .. ذهبت مسرعة إلى بقال مجاور لمنزلنا وطلبت منه أن يعطينـــي سم فئران وسألني البقال لماذا تشتري هذا السم ؟ .. فقلت لـــه وبمنـــتهى السذاجة والاستهتار:عندي فأر أعمى يحيرني أريد قتله!! أعطاني السم وأسرعت إلى المنزل قبل حضوره من الصلاة، وكـــان يضـــع الدواء الخاص به على حافة نافذة بالحجرة التي ينام فيها ، وضعت السم في زجاجة الدواء وأغلقتها وجلست وكأن شيئاً لـــم يحـــدث ، حضر الزوج بعد صلاة العشاء وطلب بعض الطعام الخفـــيف، تناول بعض الخبز والجبن ثم شرب الدواء قبل أن يذهب

إلـــى فراشـــه ، ثم حدث ما حدث ، أخذ يصرخ ويتلوى ويتصبب العـــرق مـــن جبيـــنه ، وكست الصفرة وجهه، وراعني منظره ، وأصـــابني الرعب والخوف ، وأدركت سوء فعلتي ، أسرعت نحو الباب أصرخ وقد تعثرت قدماي وارتعدت أوصالي وأخذت أصرخ بصـــوت عال واستدعيت الجيران وتوافدوا إلى المنزل الواحد تلو الآخـــر ، وأخـــذت السيدات في الصياح والصراخ وكان من بينهم الـــبقال الذي ابتاعني السم ، ونظر إليَّ خلسة ثم نظر إلى زوجـــي وهو ممدد على السرير تعلو وجهه صفرة الموت ونظر إليَّ قائلاً: عملتـــيها يـــا مجـــرمـــة ؟! ثم ذهب ومعه بعض الجيران وأبلغوا الشرطة ، وشهد شهادة حق .. أننى قد طلبت منه السم لأقتل الفأر الـــذي يحيرنـــي ، وكـــان هذا الفـــأر هو زوجي، ودخلت السجن لأقضـــي زهـــرة شبابي حبيسة خلف القضبان محرومة من فلـــذة كبـــدي.

لك الله يا والدي فقد كنت صغيرة السن قليلة التجارب ، وأصم أذنـــيه ولـــم يســـمعني حتى بعد زواجي ، وبعد أن علم أنني أكره زوجـــي ، وأن الحـــياة مســـتحيلة بينـــنا ، لـــم يعبأ بكلماتي ، ولا بمشاعري وتركني فريسة للأفكار السوداء ووسوسة الشيطان .

ولتكـــن قصـــتي عبرة للآباء والأمهات ، ولابد من أخـــذ رأي الابـــنة في زوجها كما أمرنا الدين الحنيف وأعطى المرأة حقها في اختـــيار شـــريك حياتها حتى لا تعيش معه تحت سقف واحد وهى تكرهه ، وقانون الخلع أكبر دليل على أن الدين يسر وأن الزوجة لا تجـــبر علـــى الحياة مع زوج تكرهه مما يؤثرعلى مستقبل الأبناء وسلوكهم.

هـــي مـــن إحـــدى قرى الغربية ، في الخامسة والأربعين من عمـــرها ، أم لخمســـة أولاد أصغرهم كانت معها بالسجن عمرها ســـبعة أيام .. هي وحيدة أبويها أنجبها والدها وهو في سن متقدمة، زوَّجهـــا أبوها وهي في السابعة عشر من عمرها من ابن عمها..، طلباتها مجابة ، كلمتها مسموعة ، مسيطرة مستبدة برأيها ، كل ما يملكه أبواها ملك لها ، لم توجه ولم تعاقب فهي ابنة الكبر والشيب، وإن(ادلعت مش عيب)، كانت هذه كلمة والدتها التي ترد بها على جـــيرانها إذا ما اشتكت منها إحداهن أو اعتدت بالضرب أو السب على أبناء الجيران .

عاشـــت في بيت الزوجية هي الآمرة الناهية المسيطرة ، تملك الأرض الزراعـــية والمواشي ، فقد كتب لها الأب كل ما يملك قبل وفاته حتى لا يرثه إخوته ، لأنه لم يرزق بذكـــر.

كانت تقيم مع زوجها وأبنائها في بيت ريفي مكون من طابقين ، بـــالدور الأرضي ثلاث حجرات وحظيرة للمواشي وحجرة صغيرة يمـــتلكها شقيق الزوج ، فهم جميعاً أقارب .. أما الدور العلوي ففيه حجـــرتا نوم لها ولأبنائها .. تبيع المحصول وتجمع المال ، وتبيع المواشـــي وتقـــوم بتخزين المحصول في منزل جارها الشاب الذي يصـــغرها فـــي السن ، متزوج وله ابن واحد .. ويقيم مع زوجته ووالدته في المنزل المقابل ، وكان الزوج يستاء من ذلك .. إلا أن المـــال مالها ، كانت تضن على شقيق الزوج وأولاده بكل شيء ، تـــرفض مســـاعدته ، وترفض إعطاءه الماشية لتساعده في حرث قطعة أرض صغيرة جداً (قيراط ونصف) يمتلكها .. دفعت شقيق زوجهـــا دفعـــاً لكراهيـــتها والحقـــد عليها لحرصها وبخلها وعدم مســـاعدتها له .. بل كثيرا ما كانت تتشاجر معه وتحاول طرده من حجـــرته لتشتريها منه ، ويخرج هو ويسكن بعيدا عنها والزوج لا حول له ولا قوة .

طمـــع الجار فيها وفي ثروتها التي كانت تنمو يوما بعد يوم ، عرض عليها الزواج.. كان يشبع رغبتها لتنمية ثروتها التي كانت شـــغلها الشاغل ، طغى عليها حب المال، وقد اعترفت أنها لم تكن تحـــب هذا الجار ، ولكنها كانت تراه مصدرا رئيسيا لتنمية ثروتها وإشـــباع رغبـــتها المجنونة في جمع المال .. أما الزوج فلا يجب علـــيه أن يعلـــم شيئا عن مدخراتها ، فقد كانت توقن أن الرجال لا أمان لهم ..

أمـــا جارها الشاب فقد عرض عليها الزواج ليكون هو صاحب الكلمة ، ويعمل في النور ، ويبذل أقصى مجهود لمضاعفة ثروتها، عـــزف لها على الوتر الحساس وتسلل إليها من هذا المنطلق مقنعا إياها أنه سوف يتصرف وسوف تكون هي بعيدة كل البعد عن أي شبهة ، وكانت حاملا في شهرها الأخير في صغرى بناتها .. والتي دخلـــت بهـــا الســـجن وعمرها سبعة أيام .. حان موعد الوضع ، وضـــعت ابنـــتها وجاءت بنتا جميلة ، حباها الله بجمال أخاذ يلفت الأنظار ، وزينها بخلق حسن جعلها محبوبة بين كل من حولها .

رســـم الخطـــة معها وسهلت لـــه دخول المنزل ليلاً أثناء نوم الـــزوج ، أيقظـــت زوجهـــا من نومه وهي تنادي عليه في عجلة وســـرعة بحجة أن البقرة قد قطعت حبلها وتتجول في المنزل من أســـفل ، وأنهـــا سوف تقوم بتكسير وإتلاف كل شيء ، قام الزوج المسكين فزعاً من نومه ، ونزل إلى الطابق الأرضي ، وفعلاً وجد الـــبقرة تـــتجول بيـــن حجرات المنزل ، وأمسك بحبلها ودخل بها الحظـــيرة وحدث ما حدث ، هوى الجار على رأسه بالفأس فسقط علـــى الأرض وفـــارق الحـــياة ، ثم أخذه هو وأحد الأشرار الذين اشتركوا معه نظير مبلغ من المال وألقي بالجثة في ترعة مجاورة ، فكر العبد ورتب ولكن ترتيب الله كان أقوى .. فقد قام بقتل الزوج بعد أن وضعت الأم مولودتها بثلاثة أيام حتى يمحو الشبهة عنها ، فكـــيف تستطيع امرأة أن تقتل رجلا ولم يمض على عملية الوضع ثلاثة أيام ؟ !! ولكن الله – سبحانه وتعالى– الذي لا يغفل ولا ينام

أعطى كل ذي حق حقه بالعدل والقسطاط ، فقد حكم على كل منهما بالأشـــغال الشـــاقة المؤبدة ، أما الطفلة فرحمة الله واسعة أحاطت بالطفلـــة حتى وصلت إلى بر الأمان ، فحمداً لله الذي لا يحمد على مكروه سواه !

كـــان شقيق الزوج أول من اتهمها بقتل شقيقه ، دخلت السجن تحمل ابنتها التي ذاقت معها جزءًا من العذاب أثناء القبض عليها ، ولكن الله –سبحانه وتعالى– لم ينس هذه الطفلة الجميلة البريئة وقد حـــباها بجمـــال بارع ، ولما بلغت العامين بالسجن تم تسليمها إلى إحـــدى المؤسسات وكبرت الابنة وبالإضافة إلى أدبها فقد حصلت على مؤهل جامعي ، وذهبت للعمل بإحدى الشركات ، كانت دائمة الصمت هادئة ، يكسبها ذلك جمالا ، أحبها الله فحبب فيها كل عين رأتهـــا ، أحـــبها أحد الشبان ، عرضت عليّ أمر إعجاب الفتى بها وأنه من أسرة فاضلة وطلبت مني مقابلته ، وصارحته بحقيقة الأمر ، ووضحت لـــه ظروفها وأيضا ما تتسم به الابنة من أخلاق وأدب جـــم والـــتزام ، وأنهـــا لا ذنب لها فيما فرضته عليها الظروف .. وتفهـــم الفتى الأمر، وتزوجها وأنجبت ، واستقرت، وهي نعم الأم الآن وبفضـــل الله وتوفيقه قدرني على مساعدتها والوقوف بجانبها حـــتى وصـــلت إلـــى بـــر الأمان ، وهي الآن نعم الأم وأدعو لها بالتوفيق .

وعارضـــت أم الفـــتى في البداية بشدة ، بعكس الأب الذي كان يتفق في الرأي مع ابنه.. تمسك الفتى بالزواج منها وحاول إرضاء

والدته ، فهو أيضا إنسان فاضل متدين يسعى لكسب رضا والديه ، ويحـــس بالشـــفقة والعطف والحب نحو هذه الفتاة التي جنت عليها الظروف ، ولكن الله -سبحانه وتعالى- لم ينسها وعوضها خيرا ، وكـــان ظهور هذا الشاب في حياتها في الوقت المناسب وفي السن الحـــرجة التي تحتاج فيها إلى منزل يأويها ، ورجل يحميها ، كان ظهوره في حياتها نعمة من نعم الله وفضلا منه سبحانه .. ظهر لها كأنـــه ملاك أرسله الله لينقذ هذه الفتاة ويعوضها خيرا على صبرها والـــتزامها بكـــل القيم والأخلاق الفاضلة التي حباها الله -سبحانه وتعـــالى- بها ، وافقت الأم ، وتزوج الفتى ، وأنجبت واستقرت ، وعاشت في بداية حياتها في حجرة مع أسرة زوجها ، وضعتها الأم الفاضلة المتدينة المتعلمة تحت الاختبار، ونجحت الفتاة وكسبت قلب الـــزوج وأسرته ، وسمحت لها الأم بعد ذلك أن تستقل في حياتها وتعـــيش فـــي شقتها مع زوجها وأبنائها ، وهي الآن سعيدة قريرة العين ، أدعو لها بالتوفيق والسعادة .

أليست هـــذه هي عـــدالة السماء ؟ فكر العبد وقـــرر ولكن الله - سبحانه وتعالى- دبَّر وكان تدبيره أقوى وأعظم ، وضعت الخطة على أن يقتل الزوج والزوجة مازالت نفساء، أي بعد الوضع بثلاثة أيام حتى تكون بعيدة كل البعد عن أي شبهة ، ولكـــن الله -سبحانه وتعالى- الذى لا يغفل أعطى كل ذي حق حقه ، فقد حكم على كل مـــنهما بالأشغال الشاقة المؤبدة ، أما الطفلة البريئة التي عانت من الحـــرمان فقد سخر لها القلوب التي أحاطتها بالرعاية حتى وصلت إلى بر الأمان ، حمداً لله الذي لا يحمد على مكروه سواه .

هي من إحدى القرى المجاورة لمدينة الإسماعيلية ، في حوالي الخمسين من عمرها من أسرة رقيقة الحال ، لم تتلق أي تعليم ، كان والدها يعمل بالزراعة ، لها خمسة إخوة ، هي الثالثة في الترتيب ، بينهم ثلاثة ذكور وأنثى غيرها . زوَّجها والدها من ابن أحد جيرانه بالقرية والذي كان يمتلك قطعة أرض صغيرة (خمسة قراريط زراعية) كانت تعمل هي وزوجها وابنها الأكبر بزراعتها.. علاقتها طيبة بأقاربها ، وخاصة أشقائها ولذا أرادت أن تقوى هذه العلاقة بزواج ابنها الأكبر من ابنة شقيقها لتعيش معها في منزل واحد وتقوم على خدمتها في الكبر ، فهي ابنة شقيقها وستكون أقرب إليها من الغريبة ، وبعد وفاتها تصبح ربة المنزل وتحافظ على الأرض الزراعية ، وما تركته الأسرة من ميراث .

ولـم يكن الزوج راضياً عن هذه الزيجة ويفضل أن يزوج ابنه مـن فـتاة أخرى وذلك أفضل من زواج الأقارب ، ولم تيأس الأم وظلت تشجع ابنها على الزواج من ابنة خاله وتجهز لـه الهـدايا ويذهـب لـزيارتهم من حين إلى آخر ، وكثيرا ما كان يحدث ذلك

دون علـم الأب ، وكـان بهـذه الأرض في ذلك الوقت من العام محصـول الـذرة، وكان الأب والابن يتناوب كل منهما الإشراف على الزراعة وما تتطلبه من حرث وري وخلافه ...

وكانـت الأرض تروى بالساقية ، وتنظم عملية الري لأصحاب الأراضـي بالتـناوب ، يذهب كل فرد من أصحاب الأراضي إلى الحقـل ومعـه الماشية ليدير الساقية لرى الأرض ، ثم يتناوب كل واحـد مـنهم بدوره عملية الري .. وعندما جاء ميعاد ري أرض الزوج انتظر الجيران قدومه ولم يحضر .. وهمَّ منْ عليه الدور أن يقـوم بالري بعد أن تخلف الزوج عن الحضور ، فذهب إليه لكي يسـتدعيه للحضـور ولا يتعدى على دوره منعاً للمشكلات .. ولما سمع الزوج بأن جاره سوف يقوم بالري قبله أسرع وارتدى جلبابه، وسـحب ماشيته وامتطى ظهر حماره وهو يوجه السباب والشتائم لزوجـته ، ويـتهمها أنهـا السـبب في تخلف ابنها عن الحضور بتشـجيعها لـه على الذهاب لزيارة خاله ليرى ابنة خاله العروس المنـتظرة . وشـعرت الزوجة بالقلق عندما سمعت زوجها يتوعد ويـتطاير الشـر من عينيه بأنه سوف ينتقم من ابنه عند عودته ، ويقسـم أن هـذه الـزيجة لن تتم مادام هو على قيد الحياة ، خرج الـزوج مـتوجهاً إلى الحقل وجلست الزوجة حائرة شاردة الذهن تنـتظر عودة ابنها وتدعو الله أن تمر هذه الليلة على خير وسلام ، ومـا هـي إلا لحظـات حتى عاد الابن وأخبرته والدته بما حدث وطلبت منه أن يذهب مسرعاً ليساعد والده في الري .. أسرع الفتى متوجها إلى الحقل ووجد والده واقفا وسط قناة صغيرة بها مياه يقوم

بتنظـــيفها بالفأس وإزالة ما بها من رواسب لتمر بها المياه بسرعة وبســـهولة ، وكان في الحقل المجاور لـــه ابن عمه ينتظر دوره ، ومـــا أن رأى الأب الابـــن يقـــترب مـــنه مسرعاً حتى انفجر فيه كالـــبركان يقذف حمما من الشتائم والسباب ، ونظر إليه وبصق في وجهـــه وحضر الجيران ليفضوا النزاع بين الأب والابن ، وانتهى الأمـــر .. وفـــي إحدى المرات وفي لحظة انفعال رفع الأب الفأس وهوى بها على جسد ابنه وانتزع الابن الفأس من يد أبيه ليدافع بها عن نفسه وهوى بها على رأس والده دفاعا عن كرامته التي أهدرها والـــده عندما بصق على وجهه أمام الجيران ، ولكن الضربة كانت قاضـــية أسقطت الأب على الأرض غارقا في بركة من الدماء .. واضـــطرب الابـــن وأصـــابه الذعر والذهول من هول المفاجأة .. وارتعدت أوصاله مما حدث ، وتدخل الجيران في الأمر لكي يجدوا حـــلا لهذه المصيبة التي حلت دون مقدمات ، ذهب أحدهم مسرعا إلـــى بيت زوجة القتيل واصطحبها إلى الحقل وفي الطريق أخبرها بمـــا حـــدث طالـــبا منها أن تتماسك وتلتزم الصمت حتى يستطيع الســـيطرة على هذا الموقف الصعب ، وحتى لا يفتضح أمرها أمام أهـــل القـــرية ، واتفـــق معها أن يقوم بدفن الجثة بين عيدان الذرة ويظـــل الأمـــر في طي الكتمان لا يعلمه إلا الله لأن الابن لم يكن يقصـــد قـــتل أبـــيه ولم يبيت النية لذلك ، وأن ما حدث جاء وليد الصـــدفة والظـــروف ، وهـــو يشهد بذلك أمام الله ، وتعهد بكتمان السر، وفعلا ظل الموضوع في طي الكتمان زهاء خمس سنوات .

وطـــال غـــياب الأب وأخذ الجيران يتساءلون عن سبب غيابه وسرعان ما وجدت الزوجة تعليلا لذلك بأنه ترك البلدة بعد مشاجرة دارت بيـــنهم بســـبب رفضـــه زواج ابنه من ابنة خاله وذهب إلى القاهرة وأقام في بلدة الصف بالجيزة في منزل متواضع ، وأنها لن تـــتركه علـــى هذا الحال فترة طويلة ، بل سوف تذهب لتقيم معه وتطيـــب خاطـــره، وتنفذ لـــه ما يريد بأن تصرف النظر عن هذه الـــزيجة التي يرفضها .. وأعدت الزوجة العدة وأخذت ما تحتاجه مـــن ملابس وأدوات منزلية واصطحبت ابنها الأكبر وابنيها عرفة وعـــرفات ، وهما توأم لم يبلغ كل منهما الخامسة من عمره ، أما ابنـــتاها فقد تزوجتا وسافرت كل منهما مع زوجها إلى إحدى البلاد العربـــية. اصطحبت الزوجة ابنها وذهبت به إلى عمه الذي يشغل منصـــبا مرموقا بإحدى الشركات بالقاهرة ، وقصت عليه ما حدث بأمانـــة وصـــدق وأكدت لـــه أن الحادثة لم يسبق لها الترتيب ، بل جاءت وليدة الظروف ، ونزلت بهم كالصاعقة ، وقالت له: أنا الآن و ابنـــي أمـــامك راضيان بحكمك مستعدان لما تفعله إذا أردت أن تـــرفع الأمـــر للقضاء ليفصل فيه فنحن طوع بنانك .. وكان شقيق الزوج رجلا رزينا مهيبا متزنا، تفهم الأمور بصدر رحب ، ولم ير فـــائدة مـــن تصعيد المشكلة ، وطلب منها أن يظل الخبر في طي الكتمان ، وما عليها إلا أن تنفي معرفته بما حدث ، ولا تذكر عنه شيئا إذا ما جد في الأمور جديد .. ومارست الزوجة حياتها وأقامت فـــي بلـــدة الصف بالجيزة في منزل متواضع هي وأبناؤها وكانت تذهب إلى بلدتها بالإسماعيلية في المناسبات ، وعلى فترات متباعدة

تفتح منزلها وتقيم فيه بعض الوقت ، خاصة في أيام الحصاد والأعياد، وأرادت الزوجة أن تجري عملية الختان لابنيها عرفة وعرفات ، وأشار عليها ابنها الأكبر أن تذهب إلى الإسماعيلية وتقيم في منزلها وتستدعي أقاربها وجيرانها للحضور وخاصة ابنتيها العائدتين من إحدى الدول العربية .. وفرح الابن الذي كان مشتاقا كثيرا لعودته لأصحابه والمنزل الذي نشأ وترعرع فيه..

سافرت الزوجة وأخذت تعد العدة لاستقبال الضيوف وتقوم بترتيب المنزل وأعدت الطعام وكان في المنزل المجاور لمنزلها أحد الشبان أصدقاء ابنها يؤدي الخدمة العسكرية بالقاهرة ويحضر بين الحين والحين ليقضى إجازته بالقرية بين أهله وأصحابه ، يستقبله أصدقاؤه من الشباب بالبهجة والفرح ، ويسهرون معًا يتسامرون ويتجاذبون الحديث ، كل يحكي حكايته وما سيفعله ليلة زفافه ، إنه سيحيي هذه الليلة بفرقة غنائية لم يسبق لها مثيل في القرية ، ومنهم من يحكي عن العفاريت التي تظهر له كلما حضر في وقت متأخر من الليل .. وأثناء حديثهم وسمرهم مر عليهم الابن الأكبر للقتيل يحمل بعض أكياس السكر وزجاجات الشربات ، رآه أحد الفتيان (وهو ابن الرجل الوحيد الذي يعرف السر) وتذكر ما حدث وما سمعه عن هذه القصة من أبيه منذ أكثر من خمس سنوات ، وقال لأصدقائه: أما أنا فسوف أقص عليكم أغرب القصص ، وكان الابن الأكبر للقتيل يدعى "حسانا" قال لهم: من منكم يتذكر أبا حسان؟ .. قال أحدهم: إننا جميعا نتذكره ، إنه جارنا الذي اختلف مع زوجته بسبب رفضه زواج ابنه من ابنة خاله ، وترك المنزل

وذهب ليعيش في مكان بعيد ، ثم لحقت به الأسرة بعد ذلك .. قال الفتى: لا والله إن هذا الرجل لم يترك القرية ولكنه قتل ، وهو الآن مدفـــون بين أعواد الذرة ، وقد سمعت الحديث الذي دار بين والدي وزوجـــة القتـــيل وابـــنه ، وقد تعهد لهم والدي بكتمان هذا السر، ومازال هذا الخبر سرا حتى اليوم ، وذلك لأن جريمة القتل لم تكن مدبرة ولا مقصودة وإنما حدثت وليدة الصدفة والظروف ، وخافت الأم علـــى ابنها وقام والدي بمساعدتها وتعهد لها أمام الله بأن يظل ســـرها في بئر .. وكان من بين الأصدقاء شاب ظل صامتا يسمع القصة ولا يعلق على ما سمعه بكلمة واحدة ، ولكنه كان يبيت النية لشـــيء في نفس يعقوب ، وفي الصباح قام بكتابة مذكرة وأرسلها إلـــى مركـــز الشـــرطة ، وفوجئـــت الزوجة وهي تستقبل الزوار والمدعويـــن في جو يسوده الفرح والبهجة بقوة من الشرطة تقتحم علـــيها المـــنزل ، وتضع القيود في يديها هي وابنها الأكبر ، وتم اصـــطحابها إلـــى الحقل .. وبعد تهديدها أرشدتهم إلى مكان الجثة المدفونـــة فـــي الذرة .. سيقت هي وابنها إلى السجن وحكم عليهما بالأشغال الشاقة المؤبدة لأنهما تسترا على الحادث بدفن الجثة دون الإبـــلاغ عن الجريمة ، لذا لم تعتبر مشاجرة لكن اعتبرت جريمة قتل .

فهل فعلا على رأس القتيل قنديل يكشف عن مكانه ليقتص لـــه ولو بعد مرور ما يقرب من خمسة أعوام ؟ !!

أنا لا أصدق حتى الآن أنني قتلت زوجي ودمرت بيتي وشردت أولادي الخمسة .. وحولتهم إلى عناصر فاسدة يلفظهم المجتمع ويعيشون طيلة حياتهم في عذاب بعد أن ارتسمت في مخيلتهم صورة دامية ستظل عالقة في آذانهم مدى الحياة ، إن منظر الدماء التي سالت من أقرب الناس إليهم وأحبهم إلى قلوبهم ستظل كامنة في أعماقهم ، وربما ستحولهم إلى أعداء لجميع البشر ، كل ذلك بسبب غيرتي العمياء وحبي للامتلاك وأنانيتي ... اليد التي قتلت هي يدي ولكن غاب عقلي وفكري ، فليس من المعقول أن أقتل زوجي أبا أولادي وهل تقتل أم عاقلة زوجها علي مرأى ومسمع من أولاده ؟! .. كيف حدث ذلك ، كيف حولت بيتي إلى خراب وأولادي إلى أيتام ؟!! أين حبي لأولادي ؟! .. ألا يكفيني أن أعيش بجوارهم أتعهدهم بالرعاية والعطف وأسهر على راحتهم ؟ لماذا لم أترك زوجي يفعل ما يريد وأعيش لأولادي أضحي من أجل مستقبلهم أفرح عندما أراهم حولي ، منهم من التحق بالمدرسة ثم الجامعة ؟ !! ألا يكفيني حب أولادي ؟ !! هل ما دفعني إلى

ارتكاب جريمتي البشعة هو الإحساس بعدم الأمان و الإحساس بأن مصـــيري و مصـــير أولادي هـــو التشـــرد والجوع إذا ما تركنا وتـــزوج ؟ !! أين زوجي ؟! كيف تحول عني وعن أولاده ؟ !! .. زوجـــي الإنسان الطيب العاقل الذي يركع لله و يخافه دائما ، كيف انصـــرف عـــنا وأحـــب فـــتاة صغيرة وجميلة ؟! أكاد أفقد عقلي وصـــوابي ، إننـــي ســـيدة في الأربعين من عمرى ملمة بالقراءة والكتابة ، لست جميلة، أم لخمسة أبناء .

أحبـــت زوجهـــا لدرجة جعلته يكره الحياة معها ، فكانت دائما تلاحقـــه بأسئلتها وتتدخل في خصوصياته وتحاصره وتلاحقه أينما ذهـــب ، وتراقـــب كل تحركاته، وتضيق عليه الخناق ، ولا تسمح لـــــه بزيارة أقرب الناس إليه إلا إذا كانت برفقته .. والحب عندها هو الامتلاك ، ونسيت أنه بشر وأنه إنسان لـــه حريته وله شخصية مســـتقلة .. لـــه أقارب وأصدقاء يشتاق إلى رؤياهم ، ويرغب في زيـــارتهم و الحديث معهم، ويجاملهم في السراء و الضراء ، وأنه لـــيس خاتما في إصبعها تحركه كيفما تشاء، ضيقت عليه الخناق ، فكره المنزل ، وكره الحياة معها ، ونسى أن له منها خمسة أولاد ، وفكـــر أن يخرج من سجنه ويبتعد عن هذا السجان الذي يراقبه و يحسب خطواته .

أمـــا هي فقد كانت تفكر بطريقة أخرى ، إنه زوجها فهو ملك لهـــا فكـــيف تشـــاركها فيه امرأه أخرى أصغر منها وأجمل ؟! أما الزوج فقد هرب بقلبه إلى امرأه أخرى وبقى معها جسدا بلا روح ، تركها بعد أن صفعها في أعز ما تملك ألا وهي أنوثتها وكرامتها ، فكـــيف تـــتركه يحـــب امرأة أخرى ؟ .. إن ذلك يعني دمار البيت

وتشـــريد الأبناء ، بل يعني تحطميها وإهانتها .. وعندما أحست أنه يحـــب ابـــنة الجـــيران تحول أمامها إلى كابوس ، إلى شيطان .. وشـــعرت بـــنار الغيرة تأكل جسدها ، وكادت تموت همّا وحزنا ، وحاولـــت إبعـــاده عـــن تلك الفتاة .. ولكن جميع المحاولات باءت بالفشل ، ولم يهتم الزوج بكلامها ، وفكرت بأن تتشاجر معها على مرأى و مسمع من الناس والجيران حتى تفضح أمرها ، وتشعرها بأنها تسرق رجلا من زوجته وأولاده الخمسة ، وأنها سوف تخرب البيـــت وتشرد الأبناء .. وفعلا تشاجرت معها أمام الناس ، ولكنها صـــعقت عـــندما رأتها تنظر إليها بكبرياء ودلال وبرود كاد يقتلها وتقول لها: الذنب ليس ذنبي ، أبعدي زوجك عني فهو الذي يحبني.

وكانت كلماتها كالمطرقة التي هوت على رأسها فأعمت عينيها، ثـــم عادت إلى شقتها حزينة كسيرة ، وجلست تبكي بصوت مرتفع وجـــاء الـــزوج من عمله و رآها تبكي فاقترب منها وسألها فقالت لـــــه بنبرة حزينة : أنت بتجري وراء فتاة فاجرة تسرقك من بيتك وأولادك .. فقـــال لها: لا تتهميني بتهمة باطلة ودعيك من غيرتك التي سوف تهدم البيت وتشرد الأبناء .. وردت عليه بانفعال وقالت لـــه: إن الجيران يتكلمون عن قصة حبك لهذه الفتاة الفاجرة وأنت تنوي أن تتزوجها ، وأنك أصبحت كالمراهق .. فنهرها قائلا: كيف أتزوج ولي خمسة أطفال؟! .. وقالت لـــه: سوف أترك لك البيت والأطفـــال .. فقـــال الزوج: دعيك من هذا الكلام الفارغ واتركيني أصلي فـــرض الله واذهبي وصلي لعل الله -سبحانه وتعالى- يبعد عنك الشيطان .. و ذهب ليتوضأ .

تقــول : وشعرت بشيء غريب يقتحم عقلي وجسدي وتملكني الشيطان.. بعد أن ذهب عقلي أحسست أنا لست أنا بل تملكتني قوة جبارة دفعتني دفعا إلى أن أدخل المطبخ وحملت الساطور في يدي ووجــدت نفســى أقــف خلف زوجي وهو يصلي ، ورفعت يدي وهويت به على رأسه وعلى رقبته حتى فصلت رأسه عن جسده ، وأنا أصرخ في هستيريا وأقول لأولادي: إنه سوف يتزوج ويتركنا نمــوت من الجوع ، وإنه سوف يتزوج بأخرى . ولم أر أمامي إلا جــثة زوجــي غارقــة في الدماء فوق سجادة الصلاة ، .. أخذتها وأخفيتها في صفيحة القمامة ، وكان الظلام قد حل ، فأسرعتُ إلى الــترعة وألقيــتها ، وعدت مهرولة ، ووضعت باقي الأشلاء في جوال كبير ، وأخذت أدفعه بقوة لم تواتني من قبل ، وحفرت حفرة عمــيقة ودفنــت بها الجثة وردمتها بالتراب ، ثم عدت إلى بيتي ، وأخذت أزيل آثار الدماء المتناثرة حتى أخفى كل شيء ، ثم دخلت إلــى الحمــام وتركت جسدي تغمره المياه ، وشعرت وكأن المياه أعــادت إليَّ رشدي ، فأخذت أصرخ وأنا أنظر إلى يدي التى قتلت زوجــي ، وأنا أصرخ صرخات مجنونة ، وأنا أحدق في يدي التى ذبحــت زوجي وأبا أولادي ، معقول أن أقتل زوجي بيدي ؟!متى وأيــن؟ أمــام أولاده وهــو يؤدي فرض الله .. لقد خسرت الدنيا والديــن، أقسم بأنني لست أنا بل شيطان تملكني ، لم يمهلني حتى ينتهــي زوجــي مــن أداء فريضة الصلاة ، ولــم تنهني صلاته وخشوعه عن ارتكاب جريمتي .

نسيت الزوجة أن الحياة الزوجية شركة يديرها اثنان كل منهما يعمــل ويضــحي حتى تستمر وتؤتي ثمارها ، وقد أثمرت الحياة

الزوجـية خمسة أبناء لو كرست حياتها لخدمتهم لحققت نجاحا ولذة لا يعادلهـا لـذة ، ولشـعرت بسعادة غامرة حين ينمو هذا الزرع ويـترعرع وتجنـي ثمار تضحيتها ،عندما تراهم في المدارس ثم الجامعات ، وتظل ترعاهم حتى تصل بهم إلى بر الآمان .. ولكنها ضـربت بكـل ذلـك عرض الحائط ولم تذكر إلا أن زوجها الذي أصبح من ممتلكاتها ، كما كانت تعتقد ، كتمت على أنفاسه وضيقت علـيه الخـناق ، وأخـذت تحاصره وتلاحقه بأسئلتها ، وتعد عليه خطواته وأنفاسه حتى شعر بأنه يختنق ، فكرهها وكره الحياة معها فـي منزل واحد ، وفكر في أن يترك هذا السجن ويتحرر من هذا السجان الذي يلاحقه بنظراته و يحسب خطواته ، نسيت أن الطائر لو حبس في قفص من ذهب وقدم لـه أشهى الطعام ضاقت أنفاسه، وخـيم عليه الحزن والأسى ، وأخذ ينتظر اللحظة التي يخرج فيها من هذا القفص إلى غير رجعة .. لماذا لم تلجأ إلى أقاربها وتتحدث معهم و تروي لهم ما تلاحظه من فتور حدث بينها و بين زوجها ، أو تلجأ لأحد كبار السن المقربين إليه ممن يصلي معه بالمسجد .

لقـد حاول الزوج أن يطرد هذه الأفكار السوداء من رأسها ، غـيرتها ضـربت بكـل هـذا عرض الحائط .. نسيت بأنها هي الخاسـرة، سـوف تخسـر كل شيء وكان عليها أن تتظاهر بأنها تصـدقه ، ربمـا راجع نفسه .. ولكنها بعنادها وأنانيتها وغيرتها ضـربت بكـل هـذا عرض الحائط .. نسيت بأنها هى الخاسرة ، سـوف تخسر كل شيء إلا أن تمتلكه ، وكانت النتيجة قتل الزوج وتشـريد الأبـناء وإصابتهم بجرح عميق لايندمل طوال السنين .. وضـعت حبل المشنقة حول رقبتها و هدمت البيت ، و حكم عليها

بـــالإعدام . أي نتيجة أبشع وأسود من هذه النتيجة؟ أيتها الأم أنت مدرسة لإعداد الأبناء ، إذا صلحت صلح الأبناء وصلح المجتمع .. تزينـــي بالصـــبر و تحلـــي بالإيمـــان .. وتجملي بالخلق الحسن ، تخلصي من حقدك وأنانيتك إذا ما أنعم الله عليك بالأبناء .. ضحي مـــن أجـــل إســـعادهم .. فهم منك و لك .. وعلى قدر ما تضحين وتعطين من حنان سوف يعوضك أبناؤك خيرا في الكبر .. فهم فلذة كـــبدك وورود حديقـــتك .. وهم زينة الحياة الدنيا .. راعي الله في زوجـــك رب أسرتك أبى أولادك .. كوني مصدر سعادة هذا البيت بـــدلا من أن تصبحي مصدر خرابه و قتل صاحبه و يُتم أبنائه .. حكّمي عقلك ، ابتعدي عن الشك ، ارجعي إلى الله -عز وجل- إذا مـــا حلت بك كارثة ، ألا يكفيك حب خمسة أبناء ؟ !! .. إنهم نعمة من نعم الله، اشكري الله الذي أنعم عليك بهم .

و أنـــت أيهـــا الـــزوج عـــالج الأمور بحكمة وروية ،فإذا ما استشعرت من زوجتك غيرتها العمياء فلا تشعل النار و توقدها بأن تســـكب علـــيها "البنزيـــن" و تـــتمادى فـــي تزويد النار بالوقود ، وبتصـــرفاتك الصـــبيانية التي جعلت النار تتوهج حتى اشتعلت في جمـــيع أنحـــاء المنزل أحرقت فلذات كبدك ، وخربت بيتك وأنهيت حـــياتك و حياة زوجتك .. ارض بنصيبك ، وعالج الأمور بحكمة ورويـــة .. حكـــم نفرا من أهلك وأهلها ، وابتعد عن الشبهات التي تثير أعصابها ، و تشعل نار الغيرة في قلبها، فيصبح المنزل جحيما لا يطـــاق ، و يكسو الحزن و الأسى وجوه الأبناء ، و تسودّ الدنيا فـــي وجوهكـــم جمـــيعا ، و تكـــون هذه هي النهاية قتل ، و يُتم ، وخراب و إعـــدام.

هي من أحد الأحياء الشعبية بمحافظة الجيزة ، من أسرة فقيرة جـــدا ، لهـــل أخـــوان وأخت واحدة .. وهي أصغر أشقائها ، في حوالي العشرين من عمرها ، لم تتلق أي تعليم ، والدها كان يعمل بتصـــليح الأحذية ، شقيقتها متزوجة من بائع خضراوات متجول ، ويعمل شقيقها بالأجر اليومي .

أما هي فكانت تعمل عند أحد مفتشي التربية و التعليم الذي تمت إحالـــته إلـــى المعاش بعد بلوغه السن القانونية ، و الذي كان يقيم بشقته بمفرده بعد سفر نجليه للعمل في إحدى الدول العربية .

توفي والدها ، ثم توفيت والدتها بعده بثلاثة أعوام ، ويسعى كل أفـــراد أسرتها ليكسب قوت يومه .. وكانت تذهب يوميا في حوالي الثامـــنة صباحا إلى شقة مخدومها ، تقوم بتنظيف المنزل و إعداد الطعـــام و غســـل الملابس .. فالزوجة متوفاة وعليها إنجاز جميع الأعمـــال المنزلية .. وفي الخامسة وبعد انتهاء مخدومها من تناول وجـــبة الغداء تقوم بتنظيف الأواني وتنصرف إلى منزل شقيقتها ، فقـــد كانـــت تقيم معها في نفس الشقة المتواضعة .. تذهب و هي

محملة بكل ما تبقي من أنواع الطعام و الفاكهة.. يفرح أبناء شقيقتها بقدومهـــا لمـــا تحملـــه لهم مما لذ وطاب من طعام و فاكهة ، أما مخدومهـــا فقد ترك لها حرية اختيار أنواع الطعام وما عليها إلا أن تقـــوم بتجهـــيزه فـــي موعده ويتناوله ثم يجلس ليستمع إلى برامج الإذاعـــة المســـموعة أو المرئية ، وأحيانا يخرج ليتقابل مع بعض زملائـــه و أصـــدقائه في أحد المقاهي ، وتكون هي قد انتهت من أعمـــال المـــنزل وذهبـــت إلـــى شقيقتها .. وكان معها مفتاح شقة مخدومها ، تحضر إليها في أي وقت لتنجز الأعمال المتبقية .

و ذات يوم سمعت مخدومها يتحدث في الهاتف مع أحد زملائه يعـــرض علـــيه فكـــرة سحب مبلغ من المال من رصيده في البنك ليشـــترك بـــه مع أحد تجار الذهب مقابل اقتسام المكسب بينهما ، وعندما عادت إلى المنزل وقصت على شقيقتها و زوج شقيقتها ما سمعته من حديث دار بين مخدومها وزميله ، اهتم زوج شقيقتها بما ســـمع وأخـــذ يلقي عليها الأسئلة والاستفسارات ، وطلب منها أن تراقـــب مخدومها وتحاول معرفة الأماكن التي سوف يذهب إليها ، حتى إذا ما ذهب إلى البنك لسحب أي مبلغ من المال تخبره بموعد ذهابه .

وفـــي الـــيوم التالـــي حضـــر الرجل ودخل شقته ومعه بعض الأوراق و مـــنها مظروف ، فتح درج مكتبه ووضع به المظروف والأوراق وهي تراقبه ثم طلبت من مخدومها أن يسمح لها بالذهاب إلـــى المستشفى لزيارة ابن شقيقتها التي صدمته سيارة ، وسمح لها بالذهـــاب علـــى أن تعـــود بعد ذلك لتنظيف المطبخ وغسل أواني الطعـــام ، وخرجـــت مسرعة وذهبت إلى منزل شقيقتها وأخبرتهم

بأنها رأت مخدومها وهو يضع مظروفا به نقود في درج المكتب ، واقـترح عليها زوج شقيقتها أن تعود إلى منزل مخدومها لتنظيف أواني الغداء ، ثم تذهب لها شقيقتها ، وبعد ذلك يذهب زوج شقيقتها ويفعـل مـا وسوس لـه به الشيطان .. وبعد أن ذهبت إلى الشقة وانشـغلت في تنظيف المطبخ حضرت شقيقتها وصافحها الرجل ، وطلب من شقيقتها أن تقدم لها واجب الضيافة ، ورحب هو بقدومها ثم دخل إلى غرفة النوم ليشاهد برامج التليفزيون. دق جرس الباب وفتحت ودخل زوج شقيقتها خلسة وتوجه إلى المطبخ واستل سكينا كبـيرا ، و دخلت هي إلى غرفة نوم مخدومها ورأته يغط في نوم عميق و التليفزيون مفتوحا .. و أشارت بيدها إلى زوج شقيقتها وقد لاذت بالصـمت وتسلل زوج شقيقتها وانقض على الرجل بالسكين وهوى به على رقبته حتى كاد يفصلها عن جسده ثم أخذ يبحث في جميع أرجاء الشقة بعد أن قلب المكتب رأسا على عقب ولم يجد إلا مائة وعشرة جنيهات ، أخذها وغادر الشقة ،هو وزوجته وشقيقتها وتـركوه عائما في بركة من الدماء بعد أن أغلقوا باب الشقة وفي الصباح ذهبت هي كعادتها في الثامنة صباحا وفتحت باب الشقة ثم أسـرعت بالخـروج مـنها وهي تصدر صرخات عالية وتستغيث بالجيران ، تصعد بعض درجات السلم ثم تهبط وهي تصرخ وتلطم خديهـا ، إلـى أن فـتح الجيران أبوابهم وصعدوا خلفها وأذهلتهم المفاجأة ، وقام بعضهم بإبلاغ الشرطة. ولم يخطر ببال أحدهم أنها هـي التي دبرت وسهلت لارتكاب الحادث فقد أقنعها زوج شقيقتها أن السـيدات والفتـيات لا يدخلن السجن وأن المحقق لن يشك فيها مطلقا لأنها فتاة ، ولا تستطيع قتل رجل بمفردها ، وأنها تعمل لديه مـنذ أكـثر مـن أربع سنوات، وتعتبره والدها ، لأنه كان يعاملها

بالحسنى ويترك لها حرية التصرف في المنزل وكأنها صاحبته ، وكل ما عليها أن تعد لـه الطعام في موعده . فلماذا تقتلـه؟

وحكم عليها بالأشغال الشاقة المؤبدة وأنكرت معرفتها بالحادث كما أنكرت تماما ارتكاب زوج شقيقتها للجريمة ..

أمـا الآن وبعـد دخولهـا السجن وبعد أن تخلت عنها شقيقتها وزوجهـا، ولـم يحضرا إلى زيارتها إلا مرة واحدة بعد أن تمت مراسـلة شـقيقتها عن طريق إدارة السجن والتنبيه عليها بضرورة الحضـور إليها لزيارتها ، حضرت دون أن تحضر معها أي نوع من الطعام أو الفاكهة ، وعللت ذلك بأن زوجها مريض ولا يخرج إلـى العمـل ، أمـا هـي فقد دفعت ثمن خيانتها للأمانة وقررت الاعـتراف علـى زوج شقيقتها ، فهو الذي حرضها على السرقة ورسـم لها الخطة ، وكانت تحاول إرضاءه وإطاعة أوامره ، فهي تقـيم معهم في منزل واحد ، واليوم وقد عادت إلى رشدها وندمت يوم لا ينفع الندم ، صحت من غفوتها بعد أن زجت وراء القضبان، لا يكلف أحد من أقاربها نفسه بزيارتها والسؤال عنها ، تخلت عنها شـقيقتها وزوجهـا ، وخسرت الرجل الذي فتح لها بيته وأعطاها مفاتـيح شقته والذهب والنقود كما يحلو لها ، ولكنها خانت الأمانة وخانـت لقمة عيش تقاسمتها في شقة مخدومها ، فكان جزاؤها أن تظـل حبيسـة الأسـوار كالغريق الذي يستنجد بمن ينقذه ولا أحد يسمعه .

في حديثه الصحيح يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

"إياكـــم والدخول على النساء"

فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله ، أفرأيت الحَمـــوَ ؟

قال : "**الحَمـــوُ المـــوتُ**".

فمـــا الحمـــو ؟

الحمـــــو ، كمـــا قال العلماء : هو أخو الزوج وما أشبهه من أقاربـــه ، كابن عمه ونحـــوه .. ويعني "الحمو الموت" أن الخوف مـــنه أكثر من غيره ، والشر متوقع منه ، والفتنة أكثر لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة بها من غير أن ينكر عليه أحـــد .

وهـــذا أمـــر يقـــع فيه كثير من الناس ، إلا من عصم ربي ، وتحـــدث من المفاسد والفتن والجرائم ما لا يحمد عقباه ... وهـــذه واحدة منها:

هـــي شـــابة في مقتبل العمر ، في العشرين من عمرها ، تلقت قســـطا متوســـطا مـــن التعليم ، متواضعة الجمال . والدها وعمها يعمـــلان بالـــتجارة ، أراد عمها أن يقوي الرابطة بينه وبين شقيقه بالمصاهرة وأن تصبح ثمرة هذه التجارة لأبنائهما بدلا من الغريب ويمـــتلك والد الزوج منزلا من عدة طوابق خصص شقة لكل واحد مـــن أبنائه ليتزوج فيها عندما يبلغ سن الزواج ، قام بتجهيز الشقة وتـــم زفاف ابنه الأكبر على ابنة شقيقه الذي يكبرها بعامين فقط ، ويعمـــل بالـــتجارة مع والده وعمه أبو العروسة ، هو شاب طيب مســـالم حديـــث الخبرة بالحياة ، فلا غرابة أن يرى زوجته تجالس شقيقه ، فهما أولاد عمومة قبل أن تكون زوجة لشقيقه ، يعيشان في مـــنزل واحـــد تربطهما العشرة ورابطة الدم .. ولكن الله –سبحانه وتعـــالى– حذرنا من الخلوة ووسوسة الشيطان ، ولو اتبعنا ما جاء بـــه الدين الحنيف لسارت حياتنا في مسارها الطبيعي وتفادينا كثيرا من الأخطاء وما زلت أقدامنا وضعفت نفوسنا .. وكانت تجلس معه فـــي غير وجود الزوج وفي غيابه يتجاذبان أطراف الحديث ، ولا مـــانع مـــن لعب (الكوتشينة) .. ويتناولان الغذاء معًا ، ولو تدارك الزوج عواقب الأمور ووضع حدًّا لهذا الاختلاط لتفادى ما حدث ، لـــم تكـــن الـــزوجة جمـــيلة ولكن انجذب إليها شقيق زوجها بحكم الاختلاط المفتوح المباح وغير المقيد بأي قيود .. اعترف لها بحبه ولهفـــته علـــيها ، وأنـــه يـــريدها لـــــه دون أخيه ، ودبت الغيرة والكراهـــية في قلبه وأخذ يكره وجود شقيقه بالمنزل ، ويغار إذا ما

رآه يتحدث مع زوجته .. و فرحت هي بهذه العاطفة و أحست أنها مرغوبة و مطلوبة ، وأخذت تعامله برقة وحنان وكانت الزوجة قد أنجبت ابنها الأول والوحيد .. وفرحت الأسرة الغافلة عما يدور بين جـدران المـنزل ، فرحت بقدوم أول حفيد ولكن الأم الشابة كانت مشغولة بقضية أخرى أكبر مما يشغل الأسرة كلها .. كيف تتخلص هى وشقيق زوجها من الزوج ؟! وبذلك يصبح هو أولى من الغريب بهـا وبتربـية الابن ، فهو عمه وأقرب الناس إليـه .. وفي لحظة غـاب فـيها العقـل والمـنطق وطغت العاطفة واستبدت الغريزة الحيوانـية رسما الخطة معا وتربص الشاب بشقيقه ليلا في شارع مظلم خال من المارة وأطلق الرصاص على شقيقه ثم عاد مسرعا إلى المنزل ليخبرها بما حدث ولم يمض وقت طويل وصاح المارة بالشـارع فقد رأوا جثة الشاب ملقاة على الأرض وقد فارق الحياة ولم تبعد الحادثة كثيرا عن المنزل ، ووصل الضجيج والصراخ إلى أسماع من بالمنزل ، وأحس قلب الوالد بأن هذه الجثة لابنه ، ونظر فـي عينـيها بعد أن سمع همسات وكلمات محمومة وغير مفهومة ونظرات زائفة تبادلنها .

وصرخ الأب المسكين ولم يكن بينه وبين أحد عداء أو ضغينة وأشـفق القاضـي على الأب المسكين فالقاتل والمقتول فلذة كبده ، وحكم عليهما بالأشغال الشاقة المؤبدة وخيم الحزن والسواد والأسى على المنزل .

حضـــرت إليَّ تتوسل أن أساعدها على أن ترى طفلها الذي بلغ من العمر ٧ سنوات لأنها تراه دائما في منامها ، وأنها نسيت شكله، وأنها رغم كل الظروف هي أم ، .. بدون اقتناع مني بذلك وتنفيذا لرغبـــتها اتصلت تليفونيا بوالد الزوج وجد الطفل ، وعرضت عليه رغـــبة الأم أن ترى طفلها وترجوه أن يرسله مع جدته لأمه لتراه ولـــو مرة واحدة ، ورد عليَّ الجد بكلمات موجزة تدل على رجاحة العقل وحسن التصرف وفي صوته نبرة حزن تفتت القلوب وتذيب الأكـــباد .. وجاء رده قائلا: إذا وافقتي على ذلك فلن أتأخر أبدا ، وســـوف أرسله لزيارة أمه بعد أن أقنعته بأنها توفيت ، وهو الآن قـــرة عينـــي ، وفلذة كبدي ، وابني الغالي ، وشغلي الشاغل الذي جعلنـــي أكتب لـــه بعض ممتلكاتي لأعوضه ما حُرم منه ، وأقابل ربـــا كريما وأنا مطمئن عليه لأقيه الحاجة وذل السؤال .. تماسك الـــرجل كـــي لا يبكي وإن كان قلبه ينزف دماً ، ألهمه الله الصبر وعوضه خيرا في حفيده ..

إن عمـــارة البـــيوت واستقامتها ليس بالأمر الهين ، وأين دور الآباء في تقويم الاعوجاج وإبداء الملاحظات وتوجيه الأبناء ووضع حـــد للعلاقات داخل أفراد الأسرة حتى لا يتسلل الشيطان بينهم بعد أن مهدوا لـــه الطريق ليسلكه ويعيش بينهم ويوسوس لهم بالخطيئة ويحـــدث مالا تحمد عقباه ؟ !! جريمة بشعة تحدث بين أفراد أسرة واحدة يربطهم رابط المصاهرة والقرابة والدم .. صحوة من الآباء والمربيـــن ليتمســـكوا بالديـــن ويلقنوا الأبناء تعاليم دينهم ليتبعوها ويعملوا بها لكي لا تزل أقدامهم ويصبحوا على ما فعلوا نادمين.

هي من إحدى قرى محافظة الدقهلية ، من أسرة متوسطة الحال كان والدها يعمل بالزراعة ، لها ستة إخوة ، هي الثالثة في الترتيب بينهم ، كانت تعيش مع أسرتها في منزل ريفي ، لم تتلق أي تعليم.. تزوجت وهي في الثامنة عشرة من عمرها من رجل يعمل باليومية كأجير في أرض زراعية .. أنجبت منه أربعة أبناء .. وكانت تعمل مـــع زوجها بالزراعة لتساعده على كسب الرزق ، فهما لا يمتلكان أرضـــا.. ولـــيس لهما دخل خارجي أو مصدر رزق سوى العمل باليومية لدى أصحاب الأملاك.

فكر الزوج في مضاعفة مجهوده وتحسين مستواه وزيادة دخله وتأميـــن مســـتقبله ومستقبل أولاده ، فقد بلغ عددهم أربعة أبناء .. اســـتلم قطعـــة أرض زراعية من أراضى الإصلاح الزراعي التي تملـــك في بلدة قريبة من بلدتهم .. قرية صغيرة حديثة لم يكن بها أحـــد مـــن ذوي القـــربى ، ولكـــن كان يري فيها الأمان من غدر الـــزمان، فعندما يكبر الأبناء سوف يعملون بها ، وبذلك يضمن لهم مورد رزق ثابت، فالأرض التي توزّع على المعدمين من الفلاحين سوف تصبح ملكا خاصا لهم تدر عليهم من الأموال .. أعـــد العدة

و ربـط الأمـتعة مسـتعدا لترك بلدته ساعيا وراء مصدر رزقه الجديـد .. ولكنه كان يشعر برهبة الغربة والخوف من المجهول ، ويـبدو أنه كان محقا فيما يعتريه ، وكأنه كان يحس بما يخبئه لـه القـدر .. وخطرت في باله فكرة عرضها على زوجته .. لمـاذا لا أشـجع ابـن عمي وأساعده في الحصول هو الآخر على قطعة أرض مجاورة لقطعتي .. وهناك نبدأ معا حياة جديدة ، فهو مازال أعـزب ، ولـيس لديـه مـا يمنعه من الذهاب في أي مكان .. واصـطحب معه زوجته وذهبا ليعرضا عليه الفكرة ، وفرشا لـه مستقبلا كله ورود ، خاصة بعد أن تؤتي الأرض ثمارها .. سوف يودعـان الفقـر.. ولم يعارض الفتى أو يعترض ، فهو يعاني من ضـيق الحـال مثلهما تماما ، وليس هناك ما يمنعه من ترك البلدة ويعيشـوا معا على الخير والشر .. أعدوا العـدة وربطوا الأمتعة وغـادروا القرية إلى القرية الجديدة .. وكان من الطبيعي أن يأكل ويشرب مع ابن عمه .. تقوم الزوجة بإعداد الطعام وغسل الملابس للجميع ، وأصبح وكأنه أحد أفراد الأسرة يدخل المنزل ويخرج منه في حضور الزوج أو غيابه .. ولكن حدث مالا يحمد عقباه .. فقد أخـذ يلاحق الزوجة بنظراته وينصب الشباك حولها ، أصبح يغار من الزوج غيرة عمياء ، و يكره وجوده بالمنزل ، بل كان كثيرا ما يؤنـبها إذا ما أسرعت في قضاء حاجة زوجها وأمهلته قليلا وكأنه صـاحب الحـق كالـزوج ، بل كان كثيرا ما يغضب على الطعام ويمتـنع عـن الكلام بحجة أنه مريض أو لديه صداع .. وتعجبت الـزوجة مـن تصرفاته وحاولت إرضاء الطرفين بقدر المستطاع حتى لا يشعر الزوج ..

وبدأت الغيرة تدب في قلب الزوج كلما رآها تتحدث معه وتلبي طلباته ، وكان كثيرا ما يمنعها أن ترد عليه إذا ناداها أو طلب منها أن تؤدي لـــه أي خدمة ، بدأ الخلاف يدب بين الزوجين ، وكثرت المشاجرات والمشاحنات والعناد ، وكثيرا ما كان الزوج يطلب منها مغـــادرة بيت الزوجية والذهاب إلى أسرتها ، وكان يحضرها أحد إخوتها أو يذهب هو لإحضارها لأن الأبناء في حاجة إلى رعاية . تعـــود الـــزوجة وتقوم بعمل الخبز وغسل الملابس ، وسرعان ما يوجـــه لها الزوج الاتهامات ويحتدم النقاش بينهما .. وانقلبت الحياة إلـــى جحيم ، وأصبح يعاملها بقسوة ، وكثيرا ما كان يلطمها على خدهـــا ويتهمها بأنها ما عادت إلا من أجل ابن عمه الذي لا تطيق بعـــده.. وبـــدلا مـــن أن يقضى علي الداء من جذوره ويستقل هو بأسرته ويحمي بيته من الخراب وأولاده من الضياع ، أصبح يصب غضـــبه عليها وينهرها .. وفي هذه المرة وليست ككل مرة أهانها إهانـــة بالغة ، وطردها من المنزل .. ذهبت إلى أسرتها، وهي في حيرة من أمرها ، فقد أصبحت الحياة جحيما لا يطاق ..هدأت أمها من روعها ، وطلبت منها أن تعود من أجل أولادها ، وعادت إلى بيتها وما أن رآها إلا أن نظر إليها وأقسم لها أنها ما عادت إلا من أجله ...

وكـــان في حجرة مجاورة في نفس المنزل يسترق السمع لما يدور بينهما ، وسمع ما سمع وتوعد لـــه و الشر يملأ قلبه ، وخرج الـــزوج ليشتري قليلا من السكر و الشاي ، وتتبعه ابن عمه وهوى على رأسه بالفأس فسقط على الأرض و فارق الحياة .. وعاد الفتى

بســرعة ليخبرها بما حدث وهو يرتجف ، أخذت أولادها وتركت المــنزل وغادرت القرية ، وقطعت المسافة بين القريتين كالمجنونة ووراءهــا الأولاد يهــرولون ويجهلــون حقيقة ما حدث ، فقد كان الوقت ليلا والمكان خاليا إلا من نباح كلب أو نقيق ضفدع ، وصلت مــنزل أســرتها ورأت الأم أحوالهــا ونظــراتها الزائغة ووجهها الشــاحب.. ولكــن هذه المرة قد حضرت ومعها الأولاد إلى غير رجعــة .. سألتها الأم هل طلقك ؟! تلعثمت و ردت قائلة: لا ، بل قتله ابن عمه ووضع حدًّا للشك والشجار والنزاع .. ولم يغمض لها جفن حتى حضرت الشرطة واصطحبتهم جميعا ، واعترفت الزوجة بما حدث وحكم عليه بالإعدام وحكم عليها بالسجن المؤبد .

لــم يحسن الزوج التصرف ، بل أسرع في عرض الفكرة على ابــن عمــه و بســذاجة الشاب القروي لم ير الأمور إلا من جانب واحــد، وهــو الرفــيق والونيس في الغربة ، نسي أنه بشر وليس ملاكــا، وأن الظــروف سوف تحتم عليه التعامل مع زوجته ، فهو قريــب لــه جديــد على المكان لا يعرف فيه أحدًا إلا ابن عمه و زوجــته .. نسي أن زوجته شابة و أنه شاب أعزب وأنه قد سمح لــــه منذ البداية أن يتعامل مع زوجته ويقضي معظم وقته بينهم ، يشــاركهم لقمــة العيش، وتقوم الزوجة على خدمته .. وقد حذرنا المولــى -عز وجل- من اجتماع رجل و امرأة . وما اجتمع رجل وامرأة إلا والشيطان ثالثهما .. وقد كان الشيطان ثالثهما.

أسئلة كثيرة حيرتها ، وودت لو تعرف إجابات شافية عنها:

- هل من شرع يبيح للأب أن يجبر ابنته على الزواج من رجل في سن جدها؟!

- مـا حكـم الـزواج في هذه الحالة وقد سيقت العروس إلى بيت زوجها رغما عنها كما تساق الإيمـاء .. تغسل الملابس وتنظف البيت ، وتطبخ الطعام ، وتمرض هذا الشيخ الفاني ؟

- أي أبوة تلك التي تخول لصاحبها أن يزايد على ابنته .. فهى لمن يدفع أكثر دون مراعاة لشعور أو عاطفة ؟

ثـم هناك سؤال أخير سوف أطرحه بعد سرد قصتي ، وأطمع أن أعرف الإجابة عنه ، وإن كانت الإجابة لا تصلح ما فسـد.. إلا أنها بالنسبة لي قد تكون تسلية لقلب كسير وبدن أسير !!

هي من إحدى قرى محافظة البحيرة ، جميلة رقيقة ، في ريعان شـبابها ، فـي التاسعة عشر من عمرها ، بيضاء البشرة ، تكسو وجنتـيها حمرة بلون الورد ، شعرها أسود داكن السواد و هادئة ، أهـم مـا يمـيزها هـدوء أعصابها ورضاها بقضاء الله وقدره ، مستسـلمة غير ناقمة أو ساخطة ..هذا المكان أصبح بيتي ، سوف

أقضـــي به سنين طويلة ولابد أن أصبر وأرضى بقضاء الله وقدره حتى لا يقتلني الحزن ويقضي على صحتي .

ســوف أنسى أو أتناسى ، وأرمي همومي من وراء ظهري ، فقــد قُدَّر لي أن أكون سجينة ، فالحياة في منزل الزوجية الذي كان يضمني مع رجل أكبر من جدي هى السجن الحقيقي . فأنا هنا أجد من أتحدث معهن .. الكبيرة أمي والصغيرة أختي، أبوح لها بما في صدري ، أسمع حكايتها وأحكي لها حكايتي . تذهب الموظفات ويتم غلق باب العنبر ونلتف حول جهاز التليفزيون تجمعنا مودة .. فنحن جميعا صحبة، لكل منا حكاية تختلف عن الأخرى ، حكايات مختلفة جمعهــا هذا المكان .. لابد من أخذ إجازة من العقل والمنطق حتى أتماسك وأصمد أمام عشرين سنة ، وهي السمة الغالبة على نزيلات العنبر .. هنا هذا المكان كلنا في الهم صحبة .

أبــى ضــرب بالأبوة عرض الحائط .. باعني لرجل أكبر من جدّي .. المال في نظره أهم من العواطف والأحاسيس و المشاعر ، فهــو بعيد كل البعد عن هذه المسميات ، يعيش في عالم آخر نسجه لنفســه ، عــالم الفلوس وامتلاك الأرض .. رآني أحد المشايخ من الــبدو فــي قرية من قرى أبو المطامير .. ليس عنده مشكلة مادام يقدر على دفع الثمن، أرسل شقيقته لزيارتنا لتجس النبض ، قدمت لها الشاي و نظرت إليَّ وفحصتني بعينيها . وبعد ثلاثة أيام حضر شــقيقها يــتوكأ علــى عصاه ليزور والدي و لــه في هذه الزيارة مآرب أخرى .. طلب مني والدي تقديم واجب الضيافة ، لم يتطرق الشــك إلى نفسي أن يكون هذا الشيخ هو العريس ، أخذت أسترق السمع وصعقت لما سمعت شجارا حادا بين والدي ووالدتي ، انتهى

بتوجـيه بعض الشتائم والسباب لها وطلب منها ألا تتدخل في هذه الموضوعات ، فهي من اختصاص الرجال ، وأن تلتزم الصمت ، ولا تتعدى حدودها !! كان ثمني فدان أرض زراعية وبعض المال والهدايـا ، وأخبر أمي بموعد عقد القران ، لطمت خديها وضربت بيدها على صدرها ولطمها على خدها ونهرها بشدة وأمطرها بوابل من السباب والشتائم.. ثم حضرت شقيقته لتأخذني من يدي كالذبيحة إلـى العـريس .. ضاعت أحلامي ، فلم أزف كسائر البنات ، ولم أرتـد الطـرحة والفسـتان الأبيض الذي طالما تخيلت نفسي وأنا أرتديها وأسير بجوار فتى أحلامي ، شاب من سني ويسكن في نفس شـارعنا ويقوم الآن بتأدية الخدمة العسكرية .. تقدم لخطبتي ولكن فاز من دفع أكثر، رفضه والدي ، فمن أين سيأتي بفدان أرض ؟ !! فضل أبى الكفة الراجحة ، من يدفع أكثر يستحق العروسة .. دخلت سـجن الزوجـية أجر ورائي أذيال الخيبة ، كئيبة حزينة مكسورة الجناح .. تنظر إليَّ النسوة من أقارب العريس ، يتهامسن وفي عين كـل واحـدة كـلام مفهوم وإن لم تنطق به .. ولم يذهب معي من أقاربي أحد !! أعدت النسوة العشاء ، وأثناء ذلك كان العريس يغط فى نوم عميق .. مرت الأيام ، علاقتي به علاقة الابنة بأبيها ، أعد الطعـام وأرتـب المـنزل ، وأقوم بغسل الملابس .. ليس بيننا إلا الصمت .. والصمت في هذه الحالات أبلغ الحديث .

حضـرت إحدى صديقاتي لزيارتي وبحت لها بما في صدري وأننـي مازلـت عـذراء ، وكانت تعرف الفتى الذي كان قد تقدم لخطبتي ، اتفقت معها أن ترسل لـه رسالة تحكي له كل ما حدث .

وحضـــر الفـــتى فـــي إجازة وفوجئت به يدق على باب منزلي وخرجت لـــه ، وأخبرته بكل شيء ولم ينطق بكلمة واحدة ، ونظر إليَّ في ذهول ودهشة وأنهيت الحديث معه بسرعة خشية أن يراني أحـــد .. نادى عليّ زوجي لأحضر إليه الماء ليتوضأ و يخرج إلى صلاة المغرب في الجامع المجاور لنا .. وتربص له الفتى ، وأطلق عليـــه الرصـــاص .. وتعالت الصرخات في الشارع من هنا ومن هناك ، وانتشر الخبر كسرعة البرق ، اختصر الفتى الطريق وسلم نفسه للشرطة ، وحكم عليَّ بالسجن المؤبد وعليه بالإعدام .. ، أما سؤالي الآن : أليس جزاء وفاقا أن يشاركني والدي هذه العقوبة ؟!! مـــن مـــنا أحـــق بالسجن: من يملك زمام الأمور ويتصرف كيف يشاء.. أم من يساق إلى مصيره على غير رغبة كالنعاج ؟ !! لتكن قصـــتي عبرة لكل ولي أمر ، فالأبناء أمانة في عنقهم وليسوا سلعة تـــباع وتشـــترى يشـــتريها من يدفع أكثر ، نحن بشر لنا مشاعرنا وعواطفنا ولن نخرج عن طاعة والدينا ولن نعصي الأوامر مادامت في حدود العقل والدين.

وليـــتذكر كـــل أب هذا المبـــدأ الهام الذي أرساه الإسلام حتى تستوى البيوت:

دخلت فتاة على عائشة -رضى الله عنها- فقالت : إن أبي زوَّجني مـــن ابن أخيه ليرفع بي خسيسته وأنا كارهة ، فقالت: اجلسي حتى يأتي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فجاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأخبرته ، فأرسل إلى أبيها ، فجعل الأمر إليها .. فقالـــت : يا رسول الله أجزت ما صنع أبي ، ولكني أردت أن أعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء . (رواه النسائي) .

وسطعت شمس الحقيقة

هي من أحد الأحياء العشوائية بالقاهرة ، سيدة في الخمسين من عمرها ومعها ابنتها في الثامنة عشرة من عمرها.

الأم نحـيلة هزيلة يكسو الحزن والأسى وجهها ، رسمت الأيـام على وجهها مسحة من الحزن واليأس ، تدفع من يراها دفعا إلى الشفقة عليها ، ويرق قلبه لحالها ، ويسرع لمساعدتها والعطـف عليها. ولا تختلف حال الابنة عن حال الأم .. فهى الأخرى ضعيفة البنية شاحبة اللون ، رسمت الأيام على وجهها مسـحة مـن الأسى والحسـرة ، ويـدل مـنظرها على الفقر وسـوء الـتغذية ، تـرتديان ملابس بالية أكـل مـنها الدهـر وشـرب .. عطفـت علـيهما إحـدى النزيلات وألبست كلا

مـــنهما جلـــبابا أبـــيض لا هو بالقديم ولا هو بالجديد .. دخلتا السجن متهمتين في قضية إتجار مخدرات (بانجو) ، ومازالتا تحت التحقيق .. أي إنسان قسا قلبه وطوعت له نفسه ظلم هذه السيدة وابنتها ؟ !

إن الدموع المحبوسة في عين كل منهما والهزال الذي يبدو علـــيهما ينم عن فقر وبؤس لا يحتاج إلى مبرر. حضرت إلىّ الأم وابنـــتها تقسمان أنهما لم يتاجرا في المخدرات ، ولم يريا بعينيهما البانجو حتى الآن ، وأنهما ضحية أحد المخبرين الذي أراد أن يتســـلق على أكتافهما ويتهمهما بهذه التهمة ، وهو يعلم تمامـــا أنهما بريئتان .. وهو يعلم كذلك تماما أنه لا حول لهما ولا قـــوة وليس لهما من يدافع عنهما إلا إذا نصرهما الله نصرا من عنده ، فلا غالب له.

أراد أحـــد المخبريـــن أن يرضـــى أحد أقاربه من الشبان الفاســـدين الـــذي كان يطارد الابنة ظنا منه أن شرف الفقراء رخـــيص ، بل ليس لـــه ثمن .. كانت الابنة تقوم ببيع الليمون علـــى ناصية الشارع وتقوم الأم ببيع الخبز أحيانا .. أما الزوج فكان مريضا بالصدر ولا يقوى على العمل ، وليس لديه ما يسد حاجة ستة أبنـــاء .

طلبت منى أن أساعدها في أن يذهب أي مسئول إلى منزلها ليرى حياتها الاقتصادية والاجتماعية التي لا تخفى على أحد ،

ثـم يحكـم بعد أن يرى الحقيقة بعينه ، وأنا راضية بحكمه ، فحالة الأسى واضحة ، والجيران يعلمون ذلك جيدا . ونحن نقيم فـي حجـرة واحدة بشقة مشتركة بها بعض الأثاث المستهلك وبعـض الملابـس البالـية معظمها تبرع من أصحاب القلوب الرحـيمة .. انشـغلت بأمر هـذه السيدة وابنتها فالمساعدات الاقتصـادية لا تصـرف للمسـجونين إلا بعد الحكم عليهما ، ومازالت تحت التحقيق ، أما مساعدتي الخاصة فلم أدخر وسعا فـي ذلك ، ذهبت إلى منزلي كالعادة وأنا أفكر في أن أجد لها مخرجا ، وأحاول رفع الظلم عنها ، فقد أحسست إحساسا صادقا أنهـا مظلومة ، فكرت بالاتصال بأحد الصحفيين لمساندتي في توصـيل صوتها إلى المسئولين .. وفي الصباح ذهبت كالعادة إلـى عملـي لأجد خطابا مرسلا من نيابة جنوب القاهرة باسم السيدة وابنتها ورقم القضية ، تطلب النيابة عمل بحث اجتماعي مفصـل لهذه السيدة وابنتها وإرساله إلى النيابة .. شعرت بأن أبـواب السماء قد فتحت لي و لهما وأن الله لا ينسى عبده ولا يرضى بالظلم لأحد .. واجتهدت في عمل تقرير شامل مفصل نابع من القلب والإحساس ، استندت فيه على حالتها الاجتماعية داخل السجن وملابسها البالية وليس لها أمانات ... زياراتها ، وهـي في الغالب تنم عن حالة المسجون ، وكانت عبارة عن: كـيلو أرز وصابونتي غسيل وباكو شاي و٥ أرغفة من الخبز

البلدي .. فرق كبير بين هذه الزيارة و زيارة تجار المخدرات.. وأرسلت التقـرير إلى النيابة المختصة ، وما أن وصل التقرير حـتى أرسـلت النـيابة إشارة لاستدعائي لمناقشة التقرير أمام رؤسـاء النـيابة ، وذهبت مع السيدة وابنتها في سيارة الجلسة التـي تقـوم بتوصـيل المسجونات إلى النيابات المختصة .. ودخلـت إلى القاعة وهما معي ، وتناقشت مع رؤساء النيابة ، وطلبـت من رئيس النيابة السماح لي بأن أصارحه ، وأخبرته أنه في نفس اليوم الذي وصلني فيه طلب النيابة لعمل بحث لها كنت قد أحضرت لها من منزلي سكرا وشايا وصابونا ومكرونة لأثبـت لـه مـدى ما تعانيه ، كما طلبت منه إرسال باحث اجتماعي من قبل النيابة لعمل بحث بيئي عن حالة الأسرة على الطبيعة ..

عـدت إلى منزلي و أحسست بأن الدنيا مازالت بخير، وفي الصـباح وعند دخولي من بوابة السجن شاهدت السيدة وابنتها خلف البوابة والسيارة في الخارج في انتظارهم والمأمور ينهي إجـراءات الإفـراج عـنهما بالبراءة ، وأقبلت السيدة و ابنتها نحـوي تقـبل يـدي وكتفـي وتدعو لي بالصحة و الستر .. وأجهشت بالبكاء وأخذت أدعو لرؤساء النيابة ، لأن الفضل لله أولاً ثـم لهم .. وكـم هو جميل أن يعمم مثل هذا الإجراء فهم مـيزان العـدل في الأرض وهم أولى الأمر وعليهم نصرة المظلوم .

عاقبة الجهل وسوء التفكير

هي من أحد الأحياء الشعبية بالقاهرة ، في حوالي الثامنة والثلاثين من عمرها لم تتلق أي تعليم ، أم لثلاثة أبناء ، يعمل زوجها عاملاً في إحدى الشركات ، هي ربة منزل وتقوم بحياكة الملابس .. لديها بعض المعتقدات والأفكار الخاطئة إلى جانب سوء التصرف نظراً لجهلها وقلة خبرتها .. ومن هذه الأفكار الخاطئة أن تحتفظ ببعض الأسرار الخاصة بها ولا تصارح زوجها بما تدخره من أموال حتى لا يطمع فيها ويستولى على أموالها ويتزوج عليها.. وبناء على معتقداتها وأفكارها البالية والنظريات الخاطئة التي تؤمن بها نسجت خيوط حياتها ،

وكانـــت تقضـــي يومهـــا ومعظـــم ساعات الليل منكبة على حياكة الملابـــس لجـــيرانها لتحصل على قدر أكبر من المال ، كانت تقيم معهـــا في المنزل والدة زوجها التي كانت دائماً وأبداً ما تنسب لها سبب ما يحل عليها من مشكلات حتى اعتقـــدت أنها سبب وقوعها وارتكابهـــا جريمتها، لتدخلها في شئونها ، وملاحقتها بنظراتها التي كانـــت لا تفـــيق منها إلا عندما تذهب لزيارة بناتها المتزوجات في أماكـــن بعـــيدة .. تشـــعر أثناء ذلك أن كابوساً قد انزاح من على صدرها .

وكانـــت تحضر إليها إحدى قريباتها (عمتها) أو هي ابنة عم زوجهـــا ، وهـــي سيدة مسنة ضعيفة البنية ، نحيلة الجسم مصابة بالســـكر وضغط الدم ، وكانت تدخر معها ما تحصل عليه من نقود تتقاضاها من عملها بالحياكة ، معتقدة أنها تؤمن حياتها وتدخر من المـــال ما يكفيها ويحميها من غدر الزمان ، وخاصة إذا ما تزوج زوجها بزوجة أخرى .. فالرجال في نظرها لا أمان لهم .

فـــي ذات يـــوم حضرت عمتها لزيارتها بعد سفر والدة زوجها لـــزيارة إحدى بناتها، فطلبت منها بعض النقود من رصيدها الذى ادخـــرته عـــندها بدون علم زوجها لشراء ماكينة حياكة جديدة من الطـــراز الحديث ، وكذلك لشراء بعض مستلزمات الخياطة الغالية الثمن لتجمل بها الملابس وتتوسع في عملها ، فوعدتها بإحضار ما طلبـــته من نقود ، ولكنها أخلفت الوعد مرة أو مرات .. فساورها

الشك ولعبت الأفكار السوداء في رأسها ، وخشيت أن تتكر ما لديها مـــن نقـــود تخصها ، خاصة وأنها تعلم جيداً أن هذا سر بينهما لا يعلمـــه زوجهـــا وتخاف من إفشائه أمام والدته وتصبح هذه فرصة تتيح لها إنكار ما لديها .

تقـــول: ملأ الشك قلبي ونفسي ، وأن تعبي وسهر الليالي سوف يضـــيع سدًى ، وسوف تستولي هي على مدخراتي ، تتمتع بها .. وسافرت والدة زوجي لزيارة إحدى بناتها المتزوجات بالوجه القبلي ، وفي الصباح ارتدى ابني ملابسه استعدادا للذهاب إلى مدرسته ، وطلبـــت مـــنه أن يمر على عمتي يبلغها أن تحضر إليَّ في أقرب فرصـــة ، ولـــم يكن منزلها بالبعيد عني ، وذهب زوجي إلى عمله وأبنائي إلى مدارسهم ، وخلا الجو أمامي إلا من الأفكار السوداء ، وجلست في انتظارها أفكر في الكلام الذي سأقوله لها والتحذيرات التي سوف ألقيها عليها لأخيفها حتى تسرع بإحضار النقود .. وقد كـــان تفكيري هذا بمثابة شحنة ملأت قلبي بالحقد والغيظ ، وما أن ســـمعت طرق الباب حتى أسرعت نحوه وفتحته وأدخلتها ودخلت متـــثاقلة بطيـــئة الخطا نظراً لسنها ومرضها ، وبصوت أجش حاد نظـــرت إلـــيها ونهرتها بشدة وسألتها أين النقود تلعثمت في الكلام وطأطأت برأسها ونظرت إلى الأرض فتنبهت أنها لم تحضر معها شيئاً ، فاشتعل الغيظ في رأسي، واشتد غضبي ، ودفعتها دفعاً إلى المطـــبخ وأمسكت رأسها بين كفي وأخذت أرطم رأسها في حوض المطـــبخ حتى سالت الدماء من رأسها وسقطت على الأرض مغشياً

علـيها، أصـابني الذهول وارتعدت أوصالي ، وأخذت أقلبها ذات اليميـن وذات اليسار فوجدتها قد فارقت الحياة !! .. ولم أدر ماذا أفعل .. ووقعت في حيرة مرة أخرى فلم أكن أتوقع ما حدث ، ولم أرتـب لـه ولم يكن في نيتي قتلها ، بل قصدت تهديدها فقط حتى تحضر ما لي عندها من أموال ، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان ، كيف أتصرف في هذه المصيبة التي حلت بي ؟! وماذا أفعل قبل أن يحضر زوجي من العمل وأبنائي من المدرسة .

تماسـكت وتمالكت أعصابي وقمت بسحبها على الأرض حتى وصلت بها إلى سرير أولادي الموجود بالردهة (الصالة) ، وفي عجالـة يشوبها الخوف والفزع أخذت أمحو آثار الجريمة وأنظف آثـار الدماء التي تناثرت في أنحاء الشقة ، حتى انتهيت من ذلك ، وأنا في حال لا يعلمها إلا الله .. حضر أبنائي من المدرسة جائعين يسألون عن الطعام ، تظاهرت بأنني مريضة ، وقد منعني مرضي مـن تجهـيز الغـداء وأعطيتهم نقودا لشراء بعض المأكولات من الخارج .. وكان أصغر أبنائي وهو في السابعة من عمره قد حضر مـن المدرسـة يعاني من ارتفاع في درجة حرارته ، جلست أمام السـرير الذي وضعتها أسفله غارقة في دمائها ووضعت ابني على حجـري وجلسـت شاردة الذهن مضطربة الأعصاب ، وأصابني الذهـول وشل تفكيري.. ثم حضر زوجي من عمله واعتذرت لـه أن مرضـي منعنـي من تجهيز الطعام ، وطلبت منه أن يتناول ما يجـده بالمـنزل .. فتـناول بعض الطعام الخفيف بعد أن وجه لي

بعـــض اللوم ، ودخل حجرة نومه ليستريح بعض الوقت حيث لديه عمل في الواحدة .. وسألني عن سبب استيقاظي حتى هذا الوقت .. وتعللـــت بـــأن درجة حرارة ابني مرتفعة وسوف أسهر به بعض الوقـــت لأعطـــية الدواء في موعده ، ومن شدة تعبه دخل الحجرة وغـــط في نوم عميق وأنا أنظر إليها بين الحين والآخر ، ثم حان موعـــد خروج زوجي للعمل في الفترة المسائية ، ودار بيني وبين نفسي حديث عما ينبغي عليّ عمله ، فقد وقعت الكارثة ولا مفر من ذلـــك ، ولابد من التصرف فيها دون علم أحد .. تذكرت أن بيدها إسورة ذهبية وبدون مبالاة وبقلب قاس وضمير منعدم وبدون رحمة أوشـــفقة سحبتها من أسفل السرير وجردتها من الذهب، وقبل أذان الفجر بساعة في ذلك الوقت الذي كان يستعد فيه المصلون ، وكان يجـــب علـــى أن أتوضأ وأصلي وأذكـــر الله ، سحبتها إلى خارج المـــنزل ، وانتابتني قوة خارقة جعلتني أشعر بأن هذا الجسد الممدد أمامـــي خفـــيف كالورقـــة سحبت الجثة وذهبت بها إلى كومة من القمامة في مكان خال من المساكن قريب من المنزل وألقيتها فيه ، وعـــدت مســـرعة إلى المنزل ، وأخذت أسترق السمع لأي صوت ولكـــل صـــوت أسمعه من الشارع .. وأذن لصلاة الفجر ، وأدى المصلون الصلاة ، وأثناء عودتهم مر بعضهم على المكان الموجود بـــه الجـــثة وبدأ الضوء ينتشر ويظهر نور الصباح ، ورآها بعض المـــارة ونـــادى بعضهم البعض أن في تلك الكومة التي يوجد بها القمامـــة جـــثة سيدة مقتولة ، واجتمع حشد من النساء حول المكان

وأســـرعوا جميعاً ليتبينوا الأمر ، وذهب بعضهم إلى قسم الشرطة للإبلاغ عن الحادث ، وبدأ الناس يذهبون إلى عملهم وبدأت الحقيقة تكشـــف عن نفسها والجريمة تعلن عن فاعلها ، ذهبت أنا إلى أحد الصـــاغة وبعـــت له الذهب الذي حصلت عليه منها ، وعدت إلى المنزل.

وكـــان مـــا حدث هو حديث جميع المارة .. ونظراً لأنها كانت تتردد عليَّ كثيراً ، ونظراً لعملي بالحياكة واختلاطي بعدد كبير من الســـيدات ، تعـــرف المـــارة على الجثة وقالوا: إنها إحدى قريبات السيدة التي تعمل بالحياكة ..

وهجمـــت الشرطة على المنزل وتم القبض عليَّ ، ومن شـــدة خوفـــي وارتباكـــي اعترفت بما حدث ، وحكم عليّ بالإعدام ؛ لأن القتل كان مقترناً بالسرقة وهي سرقة أساورها الذهبية وبيعها لأحد الصـــاغة الذي اعترف أنه قد اشتراها مني في نفس يوم الحادث .. واعـــترف أننـــي لم أكن أقصد قتلها وأن الله -سبحانه وتعالى- قد رحمني وخفف عني حكم الإعدام وشملني برحمته الواسعة أعطاني أكـــثر ممـــا أستحق ، وأنا أنفذ الآن الحكم بالأشغال الشاقة المؤبدة وأطلـــب من الله الذي كشف الضرعني أن يقبل توبتي ولا يخزني يوم الدين .

الأم أشعلت النار في ابنتها !!

إن مـــن يقـــرأ قصتي يتهمني بالجحود والقسوة فكيف تقتل أم ابنـــتها؟ وكيف تكون الأم وهي مصدر العطف والحنان هي القاتلة لفلذة كبدها ؟!! فعلت ذلك وقلبي يتفتت من الحزن والأسى ، ويدي ترتعش من الخوف ، لم يكن أمامي إلا الخلاص منها .. كنت أمام أمرين أحلاهما مر: قتل ابنتي ، أو قتل شقيقيها والحكم على والدها بالسجن. هي فـــرع أعوج لم أجد أمامي إلا بتره لأنقذ زوجـــي وأولادي ، وأتجنـــب كـــلام الجـــيران ونظراتهم النابـــية وتعلـــيقاتهم التي طالما اخترقت

أذنـــيّ ، بـــل تعليقات أقرب الناس إلينا، أهلي وعشيرتي .. ابنتي خرجت عن طوعي ووقفت عاجزة أمام إقناعها بالتخويف والتهديد، وأحياناً بالنصح والإرشاد ولكنها بسلوكها لطخت سمعتها بالطين.

ســـارت في طريق أعوج وضلت الطريق المستقيم ، لم تنصت لـــي ، أصـــمت أذنيها واتبعت هواها ، ولم أجد أمامي إلا التخلص منها وبتر هذا العضو الفاسد قبل أن تنتشر العدوى منه لتدمر باقي أفراد الأسرة .. صمم والدها على قتلها ، صمم شقيقاها على قتلها.. تحدثـــت معها مراراً وتكراراً ونصحتها بالاستقامة والمحافظة على سمعتها ، وألا تعرض نفسها للقيل والقال ، وتضع حبـــل المشنقـــة حـــول رقبة شقيقيها وتضع رأسيهما في الطين ، وتجعلهما عرضة للاستخفاف من جراء سلوكها وتصرفاتها المشينة ، ولكنها أصمت أذنـــيها ، وطاوعت الشيطان ، وخرجت عن طوعي وطوع والدها الذي أصابه المرض بسببها ..كانت سبباً في المشكلات والخلافات التي أصبحت لا تنقطع بين أفراد الأسرة ، خاصة إذا ما قام بعض الشبان بتوجيه بعض الكلمات النابية التي تمس الشرف إلى شقيقها.. اسودت الدنيا أمامي وكثرت المشاحنات في المنزل ، وخيم الحزن على الأسرة بسبب انحرافها وسوء سلوكها .

هـــي ســـيدة فـــي حوالي الخمسين من عمرها من أحد مراكز محافظـــة المنوفـــية ، لم تتلق أي تعليم ، والدها مزارع ، لها ثلاثة

إخـــوة أشـــقاء وأربع أخوات .. تزوجت من عامل بإحدى الحدائق العامة وأنجبت منه ولدين وبنتا واحدة حصلت على دبلوم التجارة ، أحبـــت صـــديق شقيقها وتبادلت معه الرسائل الغرامية ، وتعللت بأســـباب ملفقة حتى تتقابل معه بدون علم أسرتها .. هذا الشاب هو أحـــد أبـــناء الجيران في نفس الشارع الذي تقيم به .. حاصل على دبلـــوم تجاري ،قام أحد الجيران بالوشاية لشقيقيها وأخبرهما بقصة الحـــب بين شقيقتهما وصديقهما ، حاول شقيقاها منعها دون فائدة . اتفـــق الشقيقان على استدراجه والجلوس معه على المقهى وتقابـــلا معـــه وجلســـوا على المقهى ، وطـــلب الشقيقان مشروبات كثيرة جـــاوزت العشـــرة جنـــيهات ، ثم طلب شقيقاها من الفتى أن يدفع حساب المشروبات ، ولكن الفتى لم يستطع دفـــع المبلغ ، وتظاهر الشـــقيقان بعـــدم تصديقه وطلبا منه أن يتأكدا بنفسيهما ويبحثا في ملابسه ، أي يقوما بتفتيشه ، ثم تشاجرا معه وقاما بضربه بالكرسي واســـتخرجا مـــن حافظة نقوده صـــورة شقيقتهما .. والتف المارة حـــول المقهـــى وتعالت الأصوات وتدخل بعضهم لفض المشكلة ، وأبلـــغ صـــاحب المقهى الشرطة فحضر واصطحبهم إلى القسم ، وتدخـــل فـــاعلـــو الخير لفـــض المشكلة واقترحوا على الفتى أن يـــتزوج الفتاة منعاً للمشكلات ، ورفض أهل الفتى زواج ابنهم من الفـــتاة ، لأن الابن لا يعمل وهم غير مستعدين لزواج ابنهم في هذا الوقـــت وبهذه الطريقة وفي هذه السن المبكرة .. واتهم أهل الفتى

الفـتاة بأنها تطارده وتقوم بإغرائه ليتزوجها ، ووقعت هذه الكلمات كالصـاعقة علـى رأس والدتهـا ، وشعرت بالخزي والعار أمام جـيرانها ، ولـم تجد الفتاة أمامها إلا ترك المنزل والهروب منه ، وأخـذت معهـا ملابسـها وبعض النقود .. حدث ذلك ليلاً بعد أن تركت باب الشقة مفتوحاً حتى لا يحدث صوتاً أثناء غلقه فيتنبه من بالمنزل .. ولما تبينوا الأمر انقلب المنزل رأساً على عقب ، وانهار الأب وصعقت الأم وابناها وظل شقيقاها بالمنزل لا يغادرانه خجلاً من مواجهة الناس ، وأقسما على قتلها ، وفزعت الأم ، فقد أحست بـأن مصـيبة أوشكت أن تحل بأسرتها ، إما بزوجها أو ولديها ، يحـثوا عنها في كل مكان وسألوا الفتى الذي كانت تحبه فأقسم لهم أنـه لا يعرف عنها أي شيء ، وبعد حوالي خمسة عشر يوماً من غـيابها اتصـل بهـم أحد المواطنين ليخبرهم عن مكانها وعنوان المـنزل الموجـودة به في مكان يعرف باسم قلعة الكبش ، اجتمع والدهـا وأبـناء عمه وشقيقاها وذهبوا جميعاً وأحضروها، ووقعوا عليها الكشف الطبي ، ولما اتضح أنها مازالت عذراء تركها أقارب والدهـا لوالدها فهو صاحب التصرف ولم تجد والدتها مفراً إلا أن تـتحدث معها في هدوء، وطلبت منها أن تصارحها واعترفت أنها تعـرف سـيدة تشجعها على ترك المنزل لتعيش معها وترى الدنيا علـى حقيقتها ، وتتمتع بالحياة في شبابها .. واعترفت لوالدتها أنها ندمت على ما فعلت وأنها سوف تستقيم ولن تعصي بعد ذلك أوامر

والديهـــا ، ولكـــن يـــبدو أن الطـــبع غلاب ، وأنها لم تكن سوية . واكتشـــفت والدتهـــا أن بعـــض الشباب يتصلون بها ويطلبون منها تحديـــد موعد لمقابلتهم والتنزه معهم .. وثارت ثائرة الأم وأخبرت شـــقيقاها بمـــا سمعت ، ووضعتها تحت المراقبة حتى اكتشف أنها تبحـــث في الأوراق عن شهادة ميلادها .. وساد الحزن والارتباك جو الأسرة وأصبحت هي شغلهم الشاغل .

وذات يوم اكتشف شقيقاها أنها جمعت ملابسها ووضعتها تحت ســـلم المـــنزل اســـتعدادًا للهرب مرة أخرى ، وقد أصاب والدها المرض من جراء تصرفاتها ، وأصبح لا يغادر الفراش ولا يقوى علـــى الذهـــاب إلى العمل وسمعت والدتها باب الشقة وهي تحاول الهـــروب ، فهرعـــت كـــالمذعورة نحو الباب وجذبتها من شعرها وأدخلـــتها الحجـــرة ، واستدعت شقيقها ، وربطت رجلها بحبل في الســـرير وأخذت تهددها بالقتل ، ولكن الفتاة طلبت منها أن تخرج شـــقيقها من الحجرة وسوف تعترف لها بكل شيء ، وفعلا أخرجت الأم ابـــنها من الحجرة ، وجلست معها على انفراد ، واعترفت لها أنهـــا ســـوف تهـــرب وتتزوج من رجل يعمل في فندق ، وعدها بالزواج ووجدت شهادة ميلادها وقد وضعتها في صدرها ، ولم تدر الأم ماذا تفعل حيال هذه الكارثة التي لا تجد لها حلا .. ماذا تقول للناس وماذا تفعل وكيف تتصرف ؟! وقد حاولت تخويفها وتهديدها ووضعت على رأسها الكيروسين وأخذت تهددها بأنها سوف تشعل

فـــيها النيران لكي تخيفها فتتراجع عما يدور في رأسها .. أصبحت الأم فـــي حـــيره من أمرها تأخذها بالشدة ثم باللين فلا جدوى ولا استجابة، وركبت رأسها وصممت على ترك المنزل .. وفي لحظة غـــيظ غـــاب فيها عقل الأم ووعيها أشعلت عود ثقاب وقربته من رأسها التي كانت قد سكبت عليه الكيروسين وأشعلت فيها النيران.. وأخـــذت الأم تجري وتصرخ وفكت قيدها واستدعت الجيران وتم نقلهـــا إلـــى المستشفى لإسعافها ، وبسؤالها في المستشفى وقبل أن تفـــارق الحياة اعترفت أن والدتها وشقيقها حاولا قتلها بإشعال النار فيها ، ولكن بشهادة الجيران والبقال الذي كانت تتكلم عنده بالتليفون واعـــتراف شقيقها بسوء سلوكها حكم على كل منهم بالسجن ثلاث سنوات ، فقد أصبح شقيقها موضع سخرية الجيران والشباب بسبب انحرافها وسوء سلوكها .

مـــاذا تفعل الأم إذا ما جنحت الابنة وضلت الطريق ، وخرجت عن طوع والديها، وغواها الشيطان ، ولم ترتدع أو تستجب لنصح أو إرشـــاد وضربت بالقيم والتقاليد عرض الحائط ، وجلبت الخزي والعـــار لأسرتها ، ورأت الأم أن قتلها وغسل العار وإنقاذ شقيقيها أهون عليها من أن يداس شرفها في الطين ويحكم على شقيقيها أو والدها بالإعـــدام ؟ !!

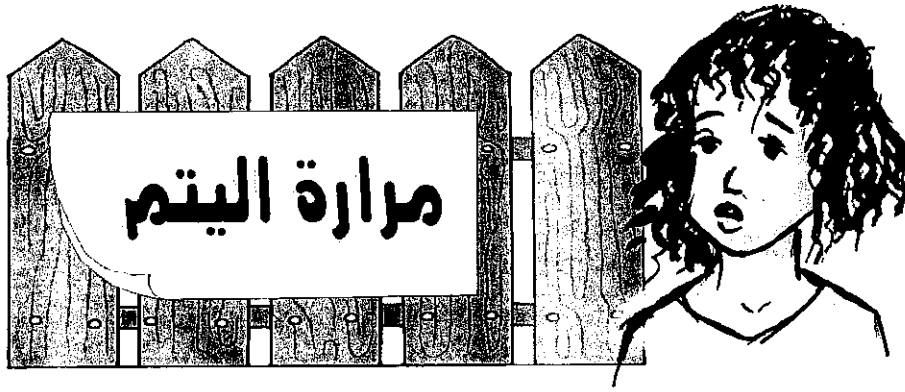

أقولها وأعي تماما ما تحمله هذه الكلمات من معنى وما تنطوي عليه كلمة(اليتـــم) من مشاعر وأحاسيس عشتها أياما مريرة ، فلم أشـــعر يومـــا بالحضن الدافئ الذي يحتويني ويذهب عني الخوف والفـــزع .. لم أسمع الصوت الحنون الهادئ العذب الذي يناديني ، واليد الحانية التي تطعمني وتسقيني ، وإذا مرضت أناديها فتأتيني ، تخاف عليّ من برد ومن حر فتحميني .

هـــي فتاة في الأربعين من عمرها ، يعتقد من يراها لأول وهلة أنها في العشرين من عمرها لضآلة جسمها .. تدعى (س) ويلقبونها (سسته) لأنها تعمل بالسرقة وتتقنها ، أو أنها كما تقول: استطاعت الهـــروب من سجن الإسكندرية بعد أن تسلقت سور السجن وقفزت من فوقه كالسسته !!!.

توفيـــت والدتها وعمرها أربعون يوما ، لا تعرف ملامحها إلا من خلال الصور، عاشت مع جدتها لأمها التي كانت تعطف عليها وتحـــبها وتـــرى فيها صورة ابنتها التي توفيت في ريعان شبابها ، فكانـــت تـــناديها باسم فاطمة اسم والدتها ، رحمها الله، وكثيرا ما كانـــت الجدة تجلس بجوار حفيدتها ومعها صورة ابنتها تنظر إليها

والدموع في عينيها ، وتحكي لها عن حياتها .

وحاولت جدتها تعويضها عن حنان الأم التي حرمت منه وعمرها أربعون يوما ، مما كان يثير غيرة وغضب خالتها وخالها، وكانا ينظران إليها على أنها دخيلة عليهما ، وأن والدها أولى بها ، وأن ما تأكله من طعام هما أحق به منها .. وكانت تنادي جدتها بكلمة أمي ، وكانت خالتها تثور عليها وتذكرها دائما بأنها جدتها وليست أمها ، وكانت جدتها حائرة بين ابنتها وابنة ابنتها وتتهم دائما بأنها تحبها أكثر من أبنائها .. أما والدها فهو في الأربعين من عمره ، يعمل بصيد الأسماك ويقيم في أحد الأحياء الشعبية بالإسكندرية ، لم يتلق أي تعليم ، يتعاطى المخدرات والكحوليات .. بعد وفاة زوجته قام بتسليم ابنته لجدتها لأنه تزوج بأخرى .. سليط اللسان ، يحكم عليه من يراه لأول وهلة أنه رجل سكير عربيد ، وهو غائب عن الوعي دائما ، ظهر والدها في حياتها وهي في السابعة من عمرها عندما حضر ذات يوم يحوم حول منزل جدتها ، وقام باختطافها ووضعها أمامه على دراجته وذهب بها إلى منزله المتواضع وهو عبارة عن عشة من الحطب والقش بجوار الملاحات، في المكس بالإسكندرية .. تفتحت عيناها على زوجة أبيها التي كانت تسيء معاملتها، وتضربها لأتفه الأسباب ، وتقيد قدميها بحبل وتربطها في السرير .. وحرمتها من الحلوى والفاكهة التي كان يحضرها والدها .. غابت الطفلة عن المنزل وشعرت الجدة بالقلق عليها ، وبحثت عنها في كل مكان ثم أبلغت عن غيابها

قسم الشرطة ، وأعطت لهم عنوان والدها. ربما يكون ضميره قد استيقظ وأفاق من سكره وأحس أن له ابنة عند جدتها فحضر وأخذها بطريقته .. حضر أحد المخبرين ليبحث عنها ووجدها بمنزل والدها مقيدة بالحبل ومربوطة بالسرير . وتقول: إن والدها احتال على المخبر وصرفه .. عاشت مع والدها وزوجته تعاني من الحرمان ولما ضاق بها الحال استطاعت أن تهرب من منزل والدها إلى منزل جدتها، ولكنها لم تقابل بالترحاب من قبل خالتها وخالها اللذين لم ينفذا وصية والدتها، فقد أوصتهم جميعاً أن يعاملوا طفلتها بالحسنى ويتعهدوها بالرعاية .. وتكررت نوبات هروبها من منزل والدها إلى منزل جدتها ، يحضر والدها إليها ويعيدها إلى منزله ، بالشدة أحيانا وباللين أحيانا أخرى ، وتقول: إن والدي ضرب زوجته وأمرها أن تترك المنزل وتذهب إلى أسرتها ولا تعود إلى منزل الزوجية بعد ذلك ، وتركت الزوجة المنزل هربا من قسوة زوجها وسوء معاملته لها ، وتركها بدون طعام ، فلم يكن ما يحصل عليه من دخل يكفي لنفقات المنزل وشراء المخدرات التي يتعاطاها .. وفي هذا الوقت كانت قد بلغت الرابعة عشر من عمرها .. يحضر والدها فاقد الوعي ويعاشرها معاشرة الأزواج !!.. وذات مرة حضر ومعه رجل من أصحابه في مثل سنه ، ضعيف النظر يعمل بدبغ الجلود ، وزوجها له بعد أن قام بتزوير وثيقة الزواج ، فقد أخذ شقيقته ليراها المأذون على أنها ابنته ، وذهبت لتقيم مع زوجها الذي يعيش مع والدته وإخوته

الـــثلاثة .. أقامـــت مـــع شقيقاته في حجرة واحـــدة متواضعة جداً وفوجئـــت أم الزوج بأنها ليست عذراء!! وتشاجرت معها وطلبت منها أن تخبرها عن حقيقة أمرها ، فصارحتها بما كان يحدث بينها وبين والدها .. وصعقت والدة زوجها وصممت أن يطلقها ، وفعلا طلقهـــا زوجهـــا ولكنها بقيت في المنزل بعد طلاقها ، كانت تقوم بعمـــل جمـــيع متطلبات المنزل من غسل ملابس وتنظيف الأواني والذهـــاب إلى السوق ، مما دفعها أن تسرق وثيقة طلاقها وتهرب مـــن المنزل إلى منزل جدتها ، وقصت لهم القصة كاملة .. ولكنها فوجئـــت بـــأن خالها وخالتها يطردانها من منزل جدتها ويصممان علـــى ذلك ، واسودت الدنيا في نظرها واحتارت في أمرها ، ولم تجد أمامها إلا أن تذهب إلى قسم الشرطة قبل أن يخيم عليها الظلام ولا تجـــد مـــأوى .. وتقول: إنها صارحت ضابط الشرطة بقصتها كاملة وكل ما حدث لها ، واستدعى طليقها ولكنه رفض استلامها ، وأطلعه على وثيقة طلاقها منه ، فلم يجد أمامه إلا أن يقوم بتسليمها لوالدهـــا الذي اصطحبها إلى منزله وضربها ضرباً مبرحاً لإفشائها الســـر ، وربطهـــا بالســـرير بدون طعام واستطاعت أن تفك قيدها وتهرب ..

وتقـــول: إنها كانت تشعر بالجوع وشدة العطش مما دفعها إلى أن تشرب من قناة بها مياه راكدة وماؤها مالح .. ثم ذهبت إلى حي المنشـــية بالإسكندرية وأخذت تتسول لتسد رمقها ، ثم جلست أمام أحـــد المنازل حتى خيم الليل وتعرف عليها أحد الشبان الذي أخذها

وعقد قرانه عليها ، وذهبت معه إلى منزله ووجدت به شقيقه وزوجته وأولاد شقيقه وهم ثلاثة أقامت معهم ومعها وثيقة طلاقها من زوجها ، ووثيقة زواجها من زوجها الجديد ، عاشت معه بضعة أيام إلى أن اكتشفت الحقيقة المرة ألا وهي أنه يجبرها على السير في طريق الرذيلة ، ولما ترفض يضربها بالمطواة ويهددها بتشويه وجهها ، ويأخذ النقود منها .. واستسلمت فترة لهذه الحياة ، ثم فكرت في أن تستقل بحياتها فبدلا أن يأخذ نقودها تحتفظ بها لنفسها ، وطلبت منه الطلاق فرفض .. واستطاعت أن تهرب من المنزل وتركت الإسكندرية وجاءت القاهرة ، واستأجرت شقة مفروشة أقامت بها وعملت بالسرقة والدعارة ، ثم تعرفت على رجل تزوجته وهى مازالت في عصمة زوجها الثاني ، ولم يكن هذا الزوج بأحسن من السابق ، فقد تعرف عليها في الشارع ولم يخف عليه سلوكها ، ولم يخف عليها سلوكه ، فقد كان يعمل بالسرقة وعليه عدة أحكام .. سارت معه في نفس التيار ، فالطيور على أشكالها تقع ، ودخلت السجن في قضية سرقة وعليها عدة أحكام ومجموعة قضايا ..

وكان موت الأم في هذه السن المبكر سببا في تشريدها ، وأصبحت ضحية أب مستهتر سكير لا يراعي الله في نفسه فكيف يكون أمينا على تربية طفلة ؟ !! .. وتخلى عنها الأهل بسبب غيرة خالتها ، وفقر أسرة والدتها ، فقد كانت خالتها ترى أنها عبء على الأسرة وأن والدها أولى بها وبالإنفاق عليها ، وأنها أحق منها

بالإنفـــاق والرعاية ، تجمعت الظروف حولها فصدها ودفعها دفعا إلـــى الشـــارع الذي لا يرحم ولا يحمي من يحتمي به .. أليس من العـــدل والإنصـــاف أن يعاقب مثل هذا الأب ، ألا من قانون رادع لمثل هؤلاء الآباء ...؟

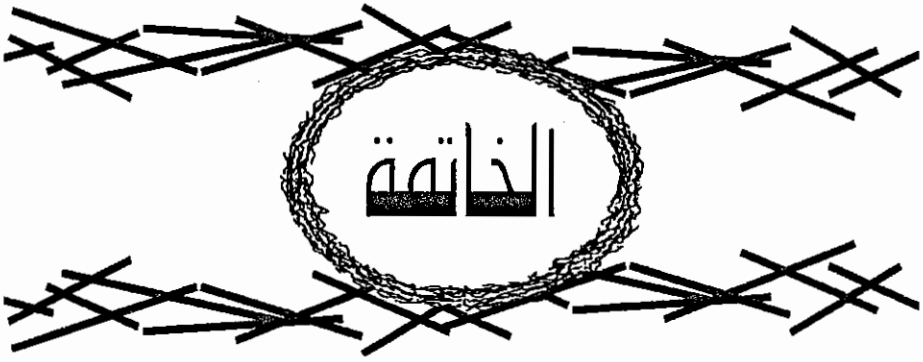

وختاماً أرجو أن أكون قد وفقت في سرد أحداث هذه القضايا ، كما أرجو أن يتلافى أولياء الأمور والأزواج والزوجات والأبناء الأسباب التي تساعدهم على ارتكاب الجريمة وأن ينتهج الآباء وأولى الأمر المنهج السليم لتنشئة جيل مؤمن صالح يبني ويعمر ويعمل على أسس دينية سليمة ، حثنا الله - سبحانه وتعالى- على اتباعها والتمسك بها ، وأمرنا أن يكون الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- قدوة نفتدى بها حتى لا نضل .. وما السجن إلا سلب للحرية ، تعطيل للمصالح ، وتشريد للأبناء ، وضياع للأموال التي أتت من مصدر حرام ، وإهدار لكرامة الكبير ، وضياع لمستقبل الصغير .. وليس السجن تهذيبا وإصلاحا إلا لبعض الفئات التي وقعت في الجريمة على سبيل الخطأ ، أو تدخلت بعض الظروف الاجتماعية والاقتصادية والنفسية وساعدت على ارتكاب الجريمة ، ووسوس لهم الشيطان ثم أفاقوا من غفوتهم لينكروا وجودهم في هذا المكان الذي لا يليق بإنسان حر يكره

أن يحبس في قفص كالحيوان ، مثل قضايا الشيكات والمشاحنات العائلية على الميراث والمشاجرات وبعض قضايا القتل والقضايا التي وقع فيها أصحابها عن طريق الخطأ غير المقصود .

أما مرتكبو قضايا السرقة والمخدرات والآداب وهم المترددون دائما على السجن ، فالسجن بالنسبة لهم لا هو تهذيب ولا إصلاح ... إلا إذا أرادوا التوبة والاستقامة واستنكروا على أنفسهم وجودهم في هذا المكان وراعوا الله في أنفسهم وأبنائهم وخافوا عليهم من أن يلفظهم المجتمع .

وقد تطورت السجون بفضل توصيات السيد اللواء / نبيل صيام المساعد الأول لوزير الداخلية لقطاع السجون وأسرة العلاقات العامة الذين قاموا بالعمل على تنمية الجوانب الإنسانية داخل السجون لتحقيق عدد من الإيجابيات الملموسة بهدف إحداث التفاعل بينهم وبين المجتمع .

وإذا كان الهدف من العقوبة هو الدفاع عن المجتمع ، فإن ذلك لا يتحقق إلا من خلال إصلاح المسجون وتأهيله اجتماعيا للعودة من جديد إلى المجتمع عضواً نافعاً يسلك سلوكا قويماً .

فالمسجون أولا وأخيرا هو إنسان وهو خلية من خلايا المجتمع، لابد من الحرص عليها ، لأن المجتمع لا يوجد إلا بالإنسان ، ولا يستمر إلا إذا كانت غايته وتوجيهاته من أجل الإنسان .

وبما أن التأهيل أهم من العقوبة نفسها ، ومن أهم الركائز التي تقوم عليها سياسة إصلاح المسجونين وتقويمهم في السجون المصرية في الوقت الحاضر وهو الوسيلة لتدريبهم على حرف تكفل لهم فرصة الحياة الكريمة بعد الإفراج عنهم . فأهم شيء هنا ليس العقوبة ، بل لابد من الاهتمام بالقوى البشرية ورعايتها وتوفير عوامل الاستقرار لها ، وتقديم الدعم المادي والمعنوي لأفرادها للارتفاع بمستوى أدائهم لعملهم ، وبث روح التآلف والتعاون بينهم ، وفي سبيل ذلك قام قطاع السجون بتطوير السجون وجعلها مكاناً صالحاً لتأهيل المسجون وإعداده لأن يكون مواطناً صالحاً وليست مكاناً لتنفيذ العقوبة فقط .

وفي سبيل ذلك يوجد في سجون النساء ورش إنتاج لتأهيل المسجونات .

فمثلاً توجد ورش التريكو وورش لتعليم فن التفصيل والحياكة ، وأشغال الإبرة ، وبعض المهارات الفردية كفن الكروشيه ، وعمل اللوحات الزيتية ، والرسم على الزجاج ، وعمل العرائس والرسم على الفخار ، وصناعة الورود ، والرسم على الألومنيوم ، والقطيفة وتزيين السلال والمراوح ، وبعض المشغولات الفنية الخفيفة، وكتابة الشعر ، والنثر والقصص ، والأداء المسرحي.

كما يشمل برنامج الرعاية التأهيلية في سجون الرجال شقين رئيسيين :

- **أولهمـــا** : هو التأهيل الزراعي وممارسة بعض الأعمال الزراعية ، كمنتجات الألبان والمناحل ...

- **والشـــق الثانـــي** : التأهيل الصناعي ، كصناعات الغزل والنسيج ، والصابون ، والأثاث ، والأحذية .

وفـــي ســـبيل ذلك قام القطاع بتطوير تأهيل المسجونين بإنشاء المصانع بالسجون واستيراد ماكينات خاصة بذلك .

كمـــا يصـــــرح للمســـاجين بمـــزاولة نشاطهم الأدبي والفني والاشـــتراك بإنتاجـــية المســـابقات العامـــة ... ومما يؤكـــد ذلك المعروضـــات الموجودة في المعارض فهي من صنع السجينات ، وقـــد ظهـــرت براعتهن وتفوقهن في جميع أنواع الفنون ... كذلك النشـــاط الثقافـــي عن طريق الاستفادة بإمكانيات مكتبات السجون وإصدار مجلات الحائط وإقامة الندوات .

والـــوزارة دائماً تهتم بالتنسيق مع الجهات المختلفة للقيام بمثل تلـــك المعـــارض والحفلات للترويح عن المساجين وتوثيق الصلة بينهم وبين المجتمع .

ولا تنتهي رسالة القطاع عند انتهاء العقوبة ، وإنما توجد رعاية لاحقـــة للمســـجون بعـــد انتهاء فترة عقوبته ... وهذه الرعاية هي الوقوف بجانب المسجون بعد الإفراج عنه، والالتزام بتأهيله والتأكد مـــن أن ما اتخذ معه من إجراءات قد أحدثت بالفعل تغييراً جذرياً فيه ، وأنه بإمكانه أن يصبح كأي فرد عادي في المجتمع .

وبهذه المعاني تكون رسالة القطاع رسالة تأهيلية وليست مجرد فترة عقوبة .. ويكون السجن فعلاً تأديبا وتهذيبا وإصلاحا لمن أراد أن يسلك الطريق السليم ويسعى إلى الرزق الحلال .. فالمسجون هو مواطن مسئول عن أسرة ينتمي إلى المجتمع، ويجب عليه أن يسعى لرفعته ، لذا تم تطوير السجون ليعيش المسجون حياة كريمة بين جدرانها ، فقد تم توفير كل متطلبات المسجون من ماء بارد صيفاً و دافئ شتاءً بإدخال المبردات والطاقة الشمسية ، وكذلك المراوح في كل عنبر ، وتجديد المبنى ككل ، والتخلص من الأسرّة البالية وتجديد الأرضيات . والجميع يعمل لتحقيق رسالة سامية هي النهوض بالمسجون والعمل على راحته داخل السجن ، وتأهيله حتى يصبح كأي فرد من أفراد المجتمع وعلى المسئولين الأخذ بيده حتى يصل إلى بر الأمان .

أما الحياة داخل السجن فلا تخلو من مشاعر وأحاسيس ، تماما كما يحدث في الحياة العادية خارج السجن ، فبينهم مودة وتراحم خاصة في حالات المرض ، فإذا ما أصاب إحداهن مرض خطير تتبرع زميلتها راضية بخدمتها والعناية بها حتى يتم الشفاء أو تقابل ربًّا كريما .

وفي حالات الوفاة يتم اتباع الإجراءات الخاصة بذلك من توقيع الكشف الطبي، وإعلان الأهل بالحضور لاستلام الجثة بإشارة عاجلة ويتم تجهيز الجثة بإحضار الكفن والغسل بمعرفة نزيلات

متخصصـــات فـــي ذلك ، وتحفظ الجثة في ثلاجات لحين حضور الأهـــل لاســـتلامها ، وإذا رفضوا الحضور لأي أسباب اجتماعية خاصة بالأسرة يتم دفن الجثة في مقابر خصصت لذلك موجودة في مدافن القناطر الخيرية ، وعند خروج الجثة من بوابة السجن يسود جو من الحزن حتى بين العاملات ويسود جو الحزن في العنبر بعد ذلـــك ، خاصة العنبر الذي حدثت فيه الوفاة ، وتضع كل نزيلة من نـــزيلات العنبر وشاحا أسود على رأسها (طرحة سوداء) مجاملة لزميلـــتها التي توفى أحد أقاربها بالخارج ، ومشاركة لزميلتها التي توفيـــت داخـــل السجن ، وحزناً عليها ويغلق التليفزيون ، وإذا ما أرادت إحداهـــن فتح التليفزيون تدب المشاحنات بينهن ، ويعترض الـــبعض ويوافـــق الـــبعض الآخر وإذا لم تحسم الأمور بينهن يتم حسمها عن طريق إدارة السجن .

أمـــا في حالات الفرح والنجاح ، كأن تزف ابنة نزيلة أو ينجح ابنها تقوم النزيلات بالاحتفال داخل العنبر بعد غلق السجن ، تلبس الـــنزيلات ملابس جديدة وتتجمع النزيلات لتقديم التهاني والشراب والحلوى والطعام الذي تم شراؤه من كافتيريا السجن أو حضر عن طـــريق الأهـــل فـــي الزيارة ، وتتجمع النزيلات في باكية النزيلة صـــاحبة المناسبة ، والباكية هي المكان الخالي الموجود أمام سرير النزيلة .. والسرير مكون من طابقين ، أمامه مكان خال تفرش فيه الـــنزيلة ســـجادة أو كليم أو ملاية حسب ظروفها تجلس عليها مع زميلاتها ويتبادلن التهاني .

أمـــا إذا انتهت مدة عقوبة إحداهن ، خاصة من الأحكام الكبيرة ١٠ ســـنوات أو ١٥ سنة أو عشرين سنة ، ويستعد العنبر للاحتفال بهـــذه المناسبة بارتداء الملابس الجديدة وعمل الشاي والقهوة على سخانات كهربائية موجودة بالعنبر .

وتـــتجمع النزيلات حول المفرج عنها ، ويسود جو من الفرح والـــبهجة بينهـــن ، وتقـــوم بعضـــهن بتقديم الأغاني والرقصات والمواويل الشعبية ، وتوزع الحلوى والمشروبات في حفل ترفيهي بســـيط ، وتتزين المفرج عنها بما يتزين به النساء .. من .. وحناء وتـــرتدى الملابـــس الجديـــــدة الملونة ، وتعطي ملابسها البيضاء لزميلاتها المقربات إليها حتى تسرى العدوى بينهن ويخرجن مثلها وتصـــبح هـــي كالعروس التي سوف تزف إلى عريسها ، وتعتبر نفسها أنها خلقت من جديد ، وأنها في بداية حياة جديدة لها أن تتمتع بهـــا بيـــن أسرتها ، وتشعر وهي بين أبنائها بالدفء العائلي الذى حرمـــت مـــنه ســـنوات طويلة .. وفي الصباح وبعد الانتهاء من إجراءات الإفراج ، وشطبها من الإيراد وإثباتها في سجل الإفراج ، تســـير بيـــن زميلاتها في جو من البهجة والفرح تحيطها الزغاريد حتى تخرج من بوابة السجن لتبدأ حياة جديدة لا يعلمها إلا الله .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ
خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾
وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾

صدق الله العظيم

الفهرس

اسم الموضوع	الصفحة
الخائنة قادت عشيقها إلى حبل المشنقة !!	١٠
أمى باعتنى واشترت شقيقتها !	١٣
الهنجران .. لا يعرفون إلا السرقة	٢٠
ومن البخل ما قتل !!	٢٧
بين العجوز والشيطان !!	٣٤
وضعت لزوجي السم فشربه ابنى الوحيد !	٤٨
وشربت من نفس الكأس !	٥٣
بدأت حياتي بالخطيئة وأنهيتها بالسجن !	٥٨
الغيرة العمياء	٦٥
الفرع الأعوج	٦٨
المرأة اللعوب	٧٢
النظرات الحائرة .. وانتقام الأم !!	٨٢
نار الأهل ولا جنة الشارع	٨٦
عندي فأر أعمى محيرني !!	٩٢
عدالة السماء	٩٦
وانكشف السر بعد خمس سنوات	١٠١
الأنانية القاتلة !! .. صفعنى زوجى فى أنوثتى فغاب عقلى وفكرى	١٠٧
المؤبد لمن خانت الأمانة	١١٣
الحمو الموت	١١٧
وكان الشيطان ثالثهما	١٢١
باعنى والدى لرجل أكبر من جدى	١٢٥
وسطعت شمس الحقيقة	١٢٩
عاقبة الجهل وسوء التفكير	١٣٣
الأم أشعلت النار فى ابنتها !!	١٣٩
مرارة اليتم	١٤٥